التخالف والتوافق بين الجمع وضميره العائد عليه في القرآن الكريم

دكتور

محمد السعيد عبدالله عامر

الأستاذ المساعد

بقسم اللغويات

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بسم الله الرحمن الرحيم

التحالف والتوافق بين الجمع وضميره العائد عليه في القرآن الكريم

مقدمة:

ان القرآن الكريم كان ولايزال المنهل العذب للغة العربية والوعاء المتين الحافظ لها، والحجة الأولى لأصول قواعدها وهو الذى عصم لغتنا من الانقسام والتشعب إلى لغات ولهجات متعددة تنفصل عن اللغة الأم كما حدث للغة اللاتينية.

ومن هنا كان اهتمام علماء السلف بالقرآن الكريم كبيرا ومبكرا لأجل المحافظة عليه وصيانته من الموجات المعادية له، والحرص على تحليل أساليبه وإيضاح معانيه واقتفاء أثره فى التعبير وبناء قواعد العربية على أسس سليمة وفصيحة.

فالقرآن هو الأصل الأول من أصول النحو، وهو فوق كونه كتابا منزلا من عند الله فإنه نزل بلسان عربى مبين، ولذلك كان هو الوعاء الصافى الشامل المتكامل الحافظ لدقائقها وأسرارها، الفاظ ومعان ومفردات وتراكيب.

وإن اختلال الألسنة، والنطق السئ من البعض لكلمات القرآن واللحن فى أدائها هو الذى عجل بنشأة النحو وتقنين قواعد العربية لمحاربة هذا اللحن الذى بدأ ينتشر بافتتاح الأمصار ودخولها مع الأعاجم فى الإسلام.

لذا كان من القرآن وبالقرآن ولأجل القرآن نشأ النحو، فلا غرابة أن يكون منطلقا لبحث أو مناقشة آية قضية لغوية تستند ركيزته ودعامته وابتداؤه وانتهاؤه من القرآن وإلى القرآن.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وهذه سلسلة بدأتها بوصف مالا يعقل فى القرآن، وثنيتها بهذا البحث، وآمل أن يوفقنى الله فى متابعة السلسلة ببحوث أخرى، ففى القرآن الهداية والاهتداء والشفاء والاستشفاء والفيصل الحاسم لكل من ينشد البحث عن هوية شئ ما، أيا كان نوعه فهو الجامع لكل شئ والدستور والمنارة لكل من قصده، وصدق الله إذ يقول: «مافرطنا من الكتاب من شئ».

والله أسأل التوفيق والسداد لى ولكل من جعل القرآن رائده ومنبعه الذى يستقى منه مايريد.

«وماتوفيقى إلا بالله عليه توكلت واليه أنيب».

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

تمهيد

من الثوابت المألوفة والقواعد المقررة والأصول المعتادة أن هناك اتفاقا ومطابقة كلية أوجزئية بين كل شيئين متلازمين كالصفة والموصوف، والمفسر والمفسر، والبدل والمبدل منه، واللفظ ومرادفه، والشئ ونظيره، والمشبه والمشبه به.

هذه الموافقة وهذا التطابق ليس بالضرورة أن يكون تطابقا من كافة الوجوه، ويدخل تحت هذا الباب الضمير ومرجعه.

هذا مادعانى إلى أن أبحث عن تلك العلاقة وذلك الارتباط بين الضمير ومايعود عليه، وكما قلت سابقا: إن هذا التطابق وتلك الموافقة قد تختلف، ومن هنا يأتى التساؤل: لما كان الأصل التوافق والتطابق فمتى يعرض التخالف، أو ما الذى أدى إلى مخالفة الأصل المألوف؟

وكما ذكرت من قبل: ليس باللازم أن تكون الموافقة تامة فقد يوافق النعت منعوته فى كل الوجوه- الأربعة من عشرة- وقد يخالف النعت منعوته كما فى النعت السببى، فالمطابقة فى التعريف والتنكير والرفع والنصب والجر، وذلك فى النعت السببى، أما الأوجه الباقية من المطابقة فقد تتأتى إن رفع الوصف ضمير الموصوف المستتر نحو: جاءتنى امرأة كريمة ورجلان كريمان...إلخ، وإن رفع الاسم الظاهر أو الضمير البارز أعطى حكم الفعل فيجرد من علامة التثنية والجمع، ولا يعتبر حال الموصوف كما فى قولك: مررت برجل قائمة أمه، وبرجلين قائم أبوهما، وذلك طبقا للقاعدة المشهورة عند الجمهور.

وفى البدل، فقد تكون هناك مطابقة تامة من كل الوجوه كما فى البدل المسمى بالبدل المطابق كقوله: أقسم بالله أبوحفص عمر. أما بدل البعض وبدل الاشتمال، فإن ارتباطهما بالمبدل منه فى الضمير المطابق نحو: أكلت التفاحة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

نصفها، وأعجبنى زيد علمه. فالمساواة والمطابقة بين الضمير ومرجعه، أما لو تطرقنا إلى البدل والمبدل منه فإنا نجد أن الكل ليس مساويا للجزء فهناك تفاوت بين الكلية والجزئية والاتفاق بينهما فى الجنس أو النوع فقط، وفى بدل الاشتمال هناك اختلاف كبير بين البدل والمبدل منه، ففى نحو: أعجبنى زيد علمه، نجد أن العلم معنوى و(زيد) حسى، وفى نحو: أعجبنى زيد ثوبه، نجد أن (زيد) ذات تحس وتملك وتعقل و(الثوب) على نقيضه.

وفى البدل المباين اختلاف جذرى بين البدل والمبدل منه بأقسامه الثلاثة، كما أنه لايشترط فى بدل النكرة من المعرفة اتفاق اللفظين على رأى الجمهور.

وهناك علاقة وارتباط وجامع بين المشبه والمشبه به، ولكنه من المؤكد أن هناك تفاوتا كبيرا بين المشبه والمشبه به، لأن المقصود: إلحاق المشبه بالمشبه به ادعاء، وإدخاله تحته كأنه فرد من أفراده.

فى ضوء تلك النظرة عن مدى التطابق والتوافق بين الشيئين المتلازمين أو المتحدين أو المكمل أحدهما للآخر يدور بحثى عن الضمير ومرجعه، فهو أحد أفراد هذه المجموعة أو أحد أنواعها الذى ينظر فيه عن مطابقته أو مخالفته لمرجعه.

ولكن ما المقصود بمطابقة الضمير لمرجعه؟

المفهوم الذى يتبادر إلى الذهن من النظرة الأولى يقول: إن هذه الموافقة والمطابقة تعنى أن: يتوافق الضمير ومرجعه فى الأمور التالية:

١- الإفراد والتثنية والجمع.

٢- التذكير والتأنيث.

وهذا هو الذى قد يظهر عندما نبحث فى كثير من الأمثلة، ولكن لو دققنا النظر لتبين لنا خلاف ذلك؛ فالتوافق بين الضمير ومرجعه يعود إلى قواعد معينة استقاها النحويون واللغويون من خلال معايشتهم ودراستهم

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

للشواهد النثرية والشعرية ومن ذلك ماورد فى ضمير الجمع- مثلا- من أنه فى:

١- جمع العاقلين بالواو والنون لابد من مطابقة الضمير العائد عليه، فيكون الضمير (واو الجماعة) أو ضمير الغائبين (هم).

٢- جمع العاقلين بغير الواو والنون يمكن أن يكون الضمير (الواو) ويمكن أن يكون (هم) ويمكن أن يكون ضمير المفردة المؤنثة.

٣- جمع العاقلات لم تفرق العرب بين جمع القلة والكثرة.

أ) ولكن الأفصح أن يجمع الضمير.

ب) ويجوز أن يعود عليه كما يعود على المؤنث الواحد، وهو فصيح.

٤- جمع المذكر الذى لايعقل، وكذلك جمع المؤنث الذى لايعقل يجوز أن:

أ) يكون ضميرهما للواحد المؤنث بتأويل الجماعة.

ب) وأن يكون (النون).

ولكن الأفصح فى:

١- جمع القلة أن يعود الضمير جمعا.

٢- وفى جمع الكثرة أن يفرد الضمير.

هذه هى السمة الشائعة من خلال استعراض هذه القواعد من كتب النحو واللغة[١] وعند تتبعى لجموع القلة والكثرة فى القرآن وجدت توافقا أحيانا وتخالفا فى بعض المواقع.

---

(١) انظر شرح الرضى على الكافية ٢/ ١٧١، والمذكر والمؤنث ٦٨، والبرهان فى علوم القرآن ٤/ ٢٣.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ماتى موافقا لمرجعه

١- عود ضمير جمع الاناث على (أفعل)
جمع قلة لغير العاقل

يقول الله تعالى: ﴿**الحج أشهر معلومات، فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولاجدال فى الحج**﴾. البقرة ١٩٧.

عاد ضمير جمع الاناث (هن) على (أشهر)، وهو جمع قلة بزنة (أفعل). وهذا هو الكثير المستعمل[١].

وكذلك فى قوله تعالي: ﴿**إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً فى كتاب الله يوم خلق السموات والأرض منها أربعة حرم فلا تظلموا فيهن انفسكم**﴾ فقد عاد الضمير (هن) على (الأربعة الحرم)، لأنها الأقرب، و(الأربعة) هنا- أيضا- تمييزها فى تقدير (أشهر)، يقول الفراء[٢]: «وقوله: (فيهن)، ولم يقل: (فيها)، وكذلك كلام العرب لما بين الثلاثة إلى العشرة، نقول: لثلاث ليال خلون، فإذا جرت قالوا: هى وهذه، إرادة أن يعرف سمة القليلة من الكثير، ويجوز فى كل واحد ماجاز فى صاحبه، أنشدنى أبو القمقام الفقعسى:

أصبحن فى قرح وفى داراتها سبع ليال غير معلوفاتها

ولم يقل: معلوفاتهن، وهى سبع ليال، وكل ذلك صواب، إلا أن المؤثر مافسرت لك.

---

(١) انظر البحر المحيط ٢/٨٧، الدر المصون ٢/٣٢٢.

(٢) معانى القرآن ١/٤٣٥.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ويقول ابن مالك[١]: «وبالأفصح- أيضا- جاء القرآن .....
فقيل (منها) فى ضمير (اثنى عشر) و(فيهن) فى ضمير الأربعة» أ.هـ.

السر فى الاتيان بالضمير مؤنثا وبالشهر مذكراً:

يقول الرازى[٢]: «فان قيل: كيف قال تعالى: ﴿**فلاتظلموا فيهن أنفسكم**﴾ والشهر مذكر فيها؟

قلنا: الضمير بالهاء والنون لا يختص بالمؤنث، ولو اختص فالمراد بقوله: فيهن: ساعات الأشهر».

مماتى موافقا لمرجعه
من جموع القلة (هم- واو الجماعة)
٢- أفعلة للعقلاء

عاد الضمير على جمع القلة على وزن (أفعلة) للعقلاء مجموعا (واو الجماعة) و(هم) فى قوله تعالى: ﴿**وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا إليهم فعل الخيرات وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين**﴾. الأنبياء ٧٣.

وقوله تعالى: ﴿**وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا**﴾ السجدة ٢٤.

٣- فعلة للعقلاء

يقول الله تعالى: ﴿**ولقد علمت الجنة إنهم لمحضرون**﴾الصافات ١٩٨ أعاد الضمير (هم) على (الجنة) وهم (الجن)، وهم الجنس الثانى من المخلوقات المكلفين فى الأرض وهم أشبه بالعقلاء من بنى الانسان.

---

(١) شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح ص٧٣.

(٢) مسائل الرازى وأجوبتها من غرائب آى التنزيل.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

مخالفة الضمير لمرجعه

ذكرنا من قبل أن موافقة الضمير ومطابقته لمرجعه لايشترط فيها اتحادهما فى كل الأمور.

ولكن طبقا لما اتفق عليه النحاة، فى عود الضمير على جمع مالا يعقل، من حيث أنه: لافرق بين قليله وكثيره فى :

١- جمع الضمير

٢- أو إفراده

ولكن طبقا لقاعدة الأفصح فى نوع الضمير

أ- فإن جمع القلة يناسبه ضمير الجمع

ب- وإن جمع الكثرة يناسبه ضمير الافراد .

ومن هنا، فإنا نقول:

إن المخالفة ليست منصبة على مطلق المنع وإنما مخالفة الأفصح وفقا لما ذكروه سابقا وعندما نريد أن نعرض ماذكروه على كتاب الله، لنرى مدى الموافقة أو المخالفة نتبين أن ماقالوه ليس بالضرورة أن يكون مطابقا لما ورد فى كتاب الله، وهنا نتلمس أسبابا لهذه المخالفة فنتصفح ماقاله العلماء المفسرون فى معالجة ظاهرة التخالف بين ماقرره هؤلاء وماجاء به القرآن الكريم، وأكثر علماء التفسير له باع طويل فى التأليف النحوى، والرأى الراجح فى الوقوف مع مذهب معين أو تعضيد قاعدة تباينت فيها الآراء، ولذا فإن ذهابنا للبحث عن سبب لهذا التخالف قد يكون من الصواب لو بحثنا لوجدنا أن لكل وجهة هو موليها باعتبار النظرة من زاوية معينة غير النظرة التى نظرها غيره، فلا نجد تعارضا بسبب اختلاف المسارين.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

من مخالفة ضمير جموع القلة

ا- ورود الضمير مفردا مؤنثا على (أفعال) جمعا لغير العاقل

عاد الضمير مفردا مؤنثا فى الآيات الآتية:

١- ﴿وعلم آدم الأسماء كلها .....﴾. البقرة ٣١.

٢- ﴿ولاتأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها إلى الحكام﴾[١]. البقرة ١٨٨.

٣- ﴿وتلك الأيام نداولها بين الناس﴾ آل عمران ١٤٠.

٤- ﴿ولاتؤتوا السفهاء أموالكم التى جعل الله لكم قياما وارزقوهم فيها﴾ النساء ٥.

٥- ﴿فادفعوا إليهم أموالهم ولاتأكلوها﴾ النساء ٦.

٦- ﴿لاتسألوا عن أشياء[٢] إن تبد لكم تسؤكم وإن تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم عفا الله عنها﴾ المائدة ١٠١.

٧- ﴿وجعلنا الأنهار تجرى من تحتهم﴾ الأنعام ٦.

٨- ﴿وقالوا هذه أنعام، وحرث حجر لايطعمها إلا من نشاء بزعمهم وأنعام حرمت ظهورها، وأنعام لايذكرون اسم الله عليها﴾. الأنعام ١٣٨.

---

(١) هناك من أرجع الضمير إلى شهادة الزور، فيكون من عود مفرد على مفرد، وقد استبعده أبوحيان بقوله فى البحر المحيط ٥٦/٢: «وأبعد من ذهب إلى أنه يعود على شهادة الزور، أى لاتدلوا بشهادة الزور إلى الحكام..... الخ».

(٢) على مذهب الكسائى، وهناك مذهب الأخفش والفراء أنها على وزن (أفعلاء) بحذف اللام، ومذهب الخليل وسيبويه والجمهور أنها على وزن (الفعاء)، وفيها قلب مكانى، ورجح المذهب الأخير.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٩- ﴿أتجادلوننى فى أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان﴾. الأعراف ٧١.

١٠- ﴿وكتبنا له فى الألواح من كل شئ موعظة وتفصيلا لكل شئ فخذها بقوة وامر قومك يأخذوا بأحسنها﴾. الأعراف ١٤٥.

١١- ﴿ولهم آذان لايسمعون بها﴾. ١٧٩ الاعراف.

١٢- ﴿ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها﴾ ١٨٠ الأعراف.

١٣- ﴿أخذ الألواح وفى نسختها هدى﴾ ١٥٣ الأعراف.

١٤- ﴿إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسيفقونها ثم تكون عليهم حسرة﴾. ٣٦ الأنفال.

١٥- ﴿وأموال اقترفتموها﴾. ٢٤ التوبة.

١٦- ﴿تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك﴾
﴿ماكنت تعلمها أنت ولا قومك﴾. ٤٩ هود.

١٧- ﴿والأنعام خلقها لكم فيها دفء﴾. ٥ النحل.

١٨- ﴿ماتعبدون من دونه إلا أسماء سميتموها﴾. ٤٠ يوسف.

١٩- ﴿ولكنا جملنا أوزارا من زينة القوم فقذفناها﴾. ٨٧ طه.

٢٠- ﴿أوآذان يسمعون بها﴾. ٤٦ الحج.

٢١- ﴿وإن لكم فى الأنعام لعبرة نسقيكم مما فى بطونها ولكم فيها منافع كثيرة ومنها تأكلون، وعليها وعلى الفلك تحملون﴾. المؤمنون ٢١، ٢٢.

٢٢- ﴿ولهم أعمال من دون ذلك هم لها عاملون﴾ المؤمنون ٦١.

٢٣- ﴿قالوا نعبد أصناما فنظل لها عاكفين﴾ الشعراء ٧١.

٢٤- ﴿وتلك الأمثال نضربهاللناس ومايعقلها إلا العاملون﴾. العنكبوت ٤٤.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٢٥- ﴿سبحان الذى خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض﴾ (مشترك). يس ٣٦.

٢٦- ﴿أو لم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاما فهم لها مالكون، وذللناها لهم فمنها ركوبهم ومنها يأكلون ولهم فيها منافع ومشارب أفلا يشكرون﴾. يس ٧١-٧٣.

٢٧- ﴿إنا جعلنا فى أعناقهم أغلالاً فهى إلى الأذقان فهم مقمحون﴾. يس ٨.

٢٨- ﴿والذى خلق الأزواج كلها﴾. (مشترك) الزخرف ١٢.

٢٩- ﴿ولايسئلكم أموالكم... إن يسألكموهما﴾. ٣٦، ٣٧ محمد.

٣٠- ﴿إن هى إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان﴾. لنجم ٢٣.

٣١- ﴿وتلك الأمثال نضربهاللناس﴾. الحشر ٣١.

من استعراضنا للآيات السابقة نجد أنها قد اشتملت على واحدوثلاثين جمعا بزنة (أفعال) وهو من أوزان القلة، وقد عاد الضمير عليها مفردا مؤنثا، وهذه الكثرة من ورود الضمير مفردا بالقياس إلى ماورد عليه غير مفرد وهو قليل، فإنه لايتفق مع قول النحويين واللغويين من أن: الأفصح أن يعود الضمير على جمع القلة جمعا[١] وفى ذلك يقول أبوحيان[٢]: «إن جمع مالا يعقل إن كان جمع كثرة فمجئ الضمير على حد ضمير الواحدة أولى من مجيئة على حد ضمير الغائبات.

---

(١) انظر شرح الرضى على الكافية ١٧١/٢، المذكر والمؤنث ٦٨٠، البرهان فى علوم القرآن ٢٣/٤.

(٢) البحر المحيط ١١٧/١.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وإن كان جمع قلة فالعكس نحو: «الأجذاع انكسرن، ويجوز انكسرت» أ.هـ.

فهل يجوز لنا أن نقول: إن القرآن الكريم جاء على غير الأفصح وأى القولين نعتمد؟!

الذى يجب أن نعتمده هو ماورد متفقا مع الذكر الحكيم الذى جاء بلسان عربى مبين. ولو نظرنا إلى ماخرج من ضمير (أفعال) غير مفرد مؤنث لوجدنا تصدى المفسرين من نحويين وغيرهم بتخريجه على اعتبار بلاغى.

٢- ورود الضمير العائد على (أفعال) جمعا (نون النسوة)

قال تعالى: ﴿**وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا البلد آمنا واجنبنى وبنى أن نعبد الأصنام رب إنهن أضللن كثيرا من الناس**﴾. ٣٦ إبراهيم.

جاء الضمير مجموعا (نون النسوة)، فيكون مطابقا لعائده من حيث الكم- الجمعيه- لكنه خالفه من جهة النوع، فالأصنام مذكرة، والضمير ورد مؤنثا وقد قيل فى ذلك: إن غير العقلاء هنا- نزلوا منزلة المؤنث العاقل، ونظير ذلك ماوقع فى تأنيث فعل (الأبواب) لوقوعها نائب فاعل، فنقول: فتحت الأبواب، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿**وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمرا حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها.....**﴾(١).

وكذلك فى الإشارة إليها، نقول: هذه الأبواب، فلا غرابة أن يعود الضمير عليها بضمير جمع المؤنث.

---

(١) الزمر ٧٣.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وفى تنزيل الأصنام منزلة العقلاء مسلك بلاغى ذكره الزمخشرى بقوله:[١] «وإنما جعلت مضلات، لأن الناس ضلوا بسببهن كما تقول: فتنتهم الدنيا وغررتهم، أى فتنوا بسببها». أ.هـ.

٣- ورود الضمير جمعا مذكرا للعاقلين (هم) عائدا على (أفعال) لغير العاقلين

١- قال تعالى: ﴿**وعلم آدم الأسماء كلها، ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئونى بأسماء هؤلاء**﴾. البقرة ٣١.

أعاد الضمير على الأسماء- أولا- بضمير المفردة المؤنثة (ها) ثم أعاد الضمير عليها- ثانيا- بضمير جمع الذكور (هم)، فإن كانت الأسماء على حقيقتها؛ فالأفصح عند النحاة ضمير جمع الاناث وفقا لما سبق أن ذكرنا.

أما قوله: (عرضهم)، فقد فسر ذلك بأنه أراد مسميات الأسماء، وهى تشمل العقلاء وغيرهم، فغلب العقلاء كما ذكر «الزمخشرى»[٢]، أما «أبوحيان» فإنه يرى[٣] أن الظاهر أنه للعقلاء؛ فالمعنى: أسماء العقلاء، أولهما معا وغلب العقلاء كما ذكر الزمخشرى، ويرى «السمين الحلبى» أن الضمير للمسميات المقدرة، أو لإطلاق الأسماء وإرادة المسميات.

ونقل ابن عباس: أنه يعود على لفظ (الأسماء)، وعلى هذا يكون قد جعل ضمير غير العقلاء كضمير العقلاء[٤].

---

(١) انظر الكشاف ٢/٣٧٩.

(٢) انظر الكشاف ١/٢٧٢.

(٣) البحر المحيط ١/١٤٦.

(٤) الدر المصون ١/٢٦٣.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٢- قال تعالى: ﴿وتالله لأكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين فجعلهم جذاذا إلا كبيرا لهم لعلهم اليه يرجعون﴾.

الأنبياء ٥٧، ٥٨.

أعاد الضمير (هم) وهو لجماعة الذكور العقلاء على (الأصنام) بزنة (أفعال) جمع تكسير للقلة لغير العقلاء، وذلك لاعتبار بلاغى، وهو: أنه عامل الأصنام معاملة العقلاء حيث اعتقدوا فيها ذلك[١].

٤- عود الضمير مفردا مذكرا على وزن (أفعال) جمع قلة لغير العاقل

قال تعالى: ﴿وإن لكم فى الأنعام لعبرة نسقيكم مما فى بطونه﴾. النحل ٦٦.

عاد الضمير مفردا مذكرا- الهاء- والأفصح عند النحويين أن يعود الضمير على جمع القلة لغير العقلاء بضمير الجمع المؤنث، فالمخالفة هنا طبقا لما قالوا: فى الإفراد والتذكير.

و(الأنعام) على أرجح الأقوال (أنها لمؤنث)، وفى عود الضمير عليها مفردا مذكرا أربعة أقوال:

١- الكسائى: ذهب به إلى معنى: مما فى بطون ماذكرنا[٢]، وعضده المبرد بوجود نظير لهذا المعنى فى القرآن الكريم، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ان هذه تذكرة فمن شاء ذكره﴾، أى: فمن شاء ذكره ذكرنا، وأيضا

---

(١) الدر المصون ٨/٧٤، والألوسى ١٧/١٢.

(٢) انظر المذكر والمؤنث ٣٤٧، البحر المحيط ٥/٨٠٥.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

قوله تعالى: ﴿فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربى﴾، أى: هذا الشئ الطالع، وقيل: إن هذا التفسير والتأويل لايكون إلا فى التأنيث المجازى[١].

٢- وخرجه الفراء على أن (الأنعام)، و(النعم) بمعنى واحد، وهما للجمع، فرجع بالتذكير إلى معنى: النعم، فكأن الأنعام وضعت موضع النعم[٢].

٣- وقيل: ذهب بها إلى معنى: (البعض)، كأنه قال: نسقيكم فى بطون أيها كان ذا لبن، حكى ذلك «أبوعبيد» عن «أبى عبيدة»[٣].

٤- وذكر يونس والأخفش أن: الأنعام تذكر وتؤنث، ولذا جاء الضمير مذكرا هنا ومؤنثا فى سورة المؤمنين مما فى بطونها[٤].

---

(١) انظر البحر المحيط ٥/٥٠٨.

(٢) انظر معانى القرآن للفراء ٢/١٠٨، ويتقارب هذا مع ماذكره سيبويه من أن بعض العرب قد يوقع (أفعالا) للواحد من حيث إفراد الضمير، فيقول: هو الأنعام، وإنما يعنى ذلك على سبيل المجاز، لأن الأنعام فى معنى النعم كما قال الشاعر:

تركنا الخيل والنعم المفدى وقلنا للنساء بها أقيمى.

(٣) انظر المذكر والمؤنث ٣٤٧، البرهان للزركشى ٣/٣٦٤.

(٤) الآية ٢١ من سورة المؤمنين. وأنكر أبوحاتم ماذهب إليه يونس والأخفش، وقال: تذكير الأنعام لايعرف فى الكلام، إلا أن حمل على معنى: النعم- وهو ماسبقه إليه الفراء- كما قال: «ومامنكم من أحد عنه حاجزين» على معنى (احد)، لأنه فى معنى الجمع. انظر المذكر والمؤنث ٣٤٨.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

عود الضمير مفردا مؤنثا على (افعلة) جمعا للقلة لغير العاقل

١- قال تعالي: ﴿يسئلونك عن الأهلة قل هى مواقيت للناس والحج﴾. البقرة ١٨٩.

عاد الضمير مفردا مؤنثا على (الأهلة) وهى لغير العاقل.

٢- وقال تعالى: ﴿أم لهم آلهة تمنعهم من دوننا﴾ الأنبياء ٤٣.

عاد الضمير مفردا مؤنثا مستترا على (آلهة)، والآلهة المذكورة من الأصنام، فهى لغير العاقل.

والذى ذكره النحويون أن الأفصح عود الضمير مجموعا على جمع القلة لغير العاقل لايتفق مع ماورد هنا.

عود الضمير جمعا مذكرا للعقلاء على (أفعلة) لغير العاقل

قال تعالى: ﴿أم اتخذوا آلهة من الأرض هم ينشرون﴾ الأنبياء ٢١.

ويقول: ﴿قالوا من فعل هذا بآلهتنا إنه لمن الظالمين، قالوا سمعنا فتى يذكرهم﴾. الأنبياء ٥٩، ٦٠.

ويقول: ﴿واتخذوا من دون الله آلهة لعلهم ينصرون لايستطيعون نصرهم وهم لهم جند محضرون﴾. يس ٧٤، ٧٥.

نزل فى هذه الآيات غيرالعقلاء (آلهة) منزلة العقلاء، لاعتقادهم فى أن هذه الآلهة تنفعهم أو تنصرهم، فأعاد الضمير عليها كما يعود على العقلاء بلفظ الجمع العاقل (واو الجماعة) و(هم) كما سبق أن ذكر فى عوده جمعا على

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

(أفعال) - الأصنام- فى قوله تعالى: ﴿فجعلهم جذاذا إلا كبيرا لهم﴾.
٥٨ الأنبياء

فالمخالفة هنا- أيضا- لغرض بلاغىٰ كما ذكر من قبل[١].

عود الضمير مجموعا على جمع القلة لما لا يعقل

﴿ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر لاتسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذى خلقهن﴾. ٣٧ فصلت.

أ- يرى «الفراء»[٢] أن ضمير جمع الاناث (هن) إنما جئ به كذلك:

١- لأن كل ذكر من غير الناس وشبههم فهو فى جمعه مؤنث، كما تقول: مربى أثواب فابتعتهن، وكانت لى مساجد فهدمتهن وبنيتهن، وتابعه الزمخشرى فى هذا الرأى فيقول[٣]:

«إن حكم جماعة مالا يعقل حكم الأنثى والاناث، فيقال: الأقلام بريتها وبريتهن».

٢- ويزيد الزمخشرى وجها آخر، فيقول: «لماقال: ومن آياته كن فى معنى الآيات، فقيل: خلقهن» وتبعه أبو حيان والسمين.

ب- ويعترض أبوحيان على الزمخشرى فى الوجه الأول الذى ذكره بقوله[٤]: «وكان ينبغى أن يفرق بين جمع القلة من ذلك، فإن الأفصح أن يكون

---

(١) المخالفة فى كونه ضمير جمع للذكور، والقاعدة كما قال «الفراء» فى «معانى القرآن» ١٨/٣: «وكل ذكر من غير الناس وشبههم فهو فى جمعه مؤنث».

(٢) معانى القرآن ١٨/٣.

(٣) الكشاف ٤٥٤/٣.

(٤) البحر ٤٩٨/٧.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

كضمير الواحدة تقول: الأجذاع انكسرت على الأفصح، والجذوع انكسرن على الأفصح، والذى تقدم فى الآية ليس بجمع قلة، أعنى بلفظ الواحد، ولكنه ذكر أربعة فتنزلت منزلة الجمع المعبر عنها بلفظ الواحد.

جـ- ويبرر السمين[١] قول الزمخشرى بأن المقام ليس مقام فصيح وأفصح، بل إن القاعدة تجيز الأمرين، فيقول: «والزمخشرى ليس فى مقام بيان الفصيح والأفصح، بل فى مقام كيفية مجئ الضمير ضمير إناث بعد تقدم ثلاثة أشياء مذكرات وواحد مؤنث، فالقاعدة تغليب المذكر على المؤنث.

٣- وهناك تفسير آخر في مرجع الضمير ذكره أبوحيان وتبعه السمين فى كونه يعود على الشمس والقمر، والاثنان جمع، وجمع مالا يعقل مؤنث، حين يقال: شموس وأقمار، لاختلافهما بالأيام والليالى ، فساغ أن يعود الضمير مجموعا.

٤- ويرجح «أبو البركات بن الأنبارى» عود الضمير على لفظ الآيات[٢] لاعلى الشمس والقمر والليل والنهار، ويعلل لذلك بقوله: «لأن المذكر والمؤنث إذا اجتمعا غلب جانب المذكر على جانب المؤنث، «والقرطبى» يعلل لتأنيث الضمير، وعدم جريانه على طريق التغليب للمذكر والمؤنث بقوله: «لأنه فيما لايعقل»[٣] أ.هـ.

من استعراضنا للأقوال السابقة نجد أن عود الضمير على جمع القلة، سواء كان راجعا لليل والنهار والشمس أو إلى الآيات حيث قال: «ومن أياته» فعود الضمير جمع مؤنث عليهما على قاعدة النحويين فى الأفصح.

أما قاعدة التغليب، فإن هذا لايكون فيما لايعقل، كما ذكر «الفراء» من أن كل ذكر من غير الناس وشبههم فهو فى جمعه مؤنث، وكما ذكر «القرطبى».

---

(١) البيان فى غريب القرآن ٢/ ٣٤٠.

(٢) الدر المصون ٥٢٨/٩.

(٣) القرطبى ٥٨٠٨ كتاب الشعب.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

دلالة جمع التصحيح

قبل أن نبحث فى الضمير العائد على جمع التصحيح يجدر بنا أن ننظر فى دلالة جمع التصحيح، أهى للقلة، أم لمطلق الجمع، فنقول:

١- يرى سيبويه(١) وابن السراج(٢) أن دلالة جمعى التصحيح للقلة، وكذلك نقل التبريزى أن جمعى السلامة للقلة(٣).

٢- ورد الرضى هذا النقل، ونقل عن ابن خروف قوله بأن جمعى السلامة مشتركان بين القلة والكثرة.

ورجح الرضى دلالة جمعى الصحة بأنها لمطلق الجمع(٤).

---

(١) يقول سيبويه ٣/٥٧٨ «وأما ماكان على (فعلة) فإنك إذا أردت أدنى العدد جمعتهما بالتاء وفتحت العين، وذلك قولك قصعة وقصعات وصحفة وصحفات وجفنة وجفنات وشعرة وشعرات وجمرة وجمرات، فاذا جاوزت أدنى العدد كسرت الاسم على (فعال) وذلك قصعة وقصاع، وجفنة وجفان وشعرة وشعار وجمرة وجمار»... ولكنه يستطرد فيقول بعد قليل: «وقد يجمعون بالتاء، وهم يريدون الكثرة. قال الشاعر وهو حسان بن ثابت: لنا الجفنات الغرّيلمعن بالضحى واسيافنا تقطرن من نجدة دما فلم يرد أدنى العدد» أهـ.

(٢) يقول ابن السراج فى الأصول ٢/٤٣٩: «فعلة: جمعتها بالتاء فى أدنى العدد، وتفتح العين فتقول: فعلان نحو: جفنة وجفنات، فإذا جاوزت أدنى العدد صار على (فعال) مثل: قصاع.

(٣)،(٤) يقول الرضى فى شرح الكافية ٢/١٩١: «ونقل التبريزى أن منها أى: من القلة- أفعلاء، وجمعاالسلامة عندهم منها- أيضا- استدلالا بمشابهتهما للتثنية فى سلامة الواحد، وليس بشئ إذ مشابهة شئ لشئ لفظا لايقتضى مشابهته له معنى أيضا، ولوثبت مانقل أن النابغة قال لحسان لما أنشده قوله:

لنا الجفنات الغر يلمعن بالضحى وأسيافنا يقطرن من نجدة دما

قللت جفنانك وسيوفك لكان فيه دليل على أن المجموع بالألف والتاء جمع قلة وقال ابن خروف: جمعا السلامة مشتركان بين القلة والكثرة والظاهر أنهما لمطلق الجمع من غير نظر إلى القلة والكثرة فيصلحان لهما» أهـ رضى.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٣- ويرى الزجاج استعمال جمع التصحيح للقلة كثيرا فى اللغة ولكنه يجوز- مع حسنه- أن يقع للكثرة[١].

ويذهب إلى هذا- أيضا- «ابن جنى» فى «المحتسب» حيث يرى أن الألف والتاء موضوعتان للقلة، غير أنه قد جاء لفظ الصحة والمعنى للكثرة[٢].

---

(١) يقول الزجاج فى معانى القرآن ١/ ٢٧٥ عند ذكر قوله تعالى: «واذكروا الله فى أيام معدودات: «معدودات: يستعمل كثيرا فى اللغة للشئ القليل، وكل عدد قل أو كثر فهو معدود، ولكن (معدودات) أدل على القلة، لأن كل قليل يجمع بالألف والتاء نحو: دريهمات وجماعات. وقد يجوز- وهو حسن كثير- ان تقع الألف والتاء لكثير، وقد ذكر أنه: عيب على القائل:

لنا الجفنات الغرلمعن بالضحى وأسيافنا يقطرن من تجدة دما

فقيل له: لم قللت الجفنات، ولم تقل: الجفان- وهذا الخبر- عندى- مصنوع، لأن الألف والتاء قد تأتى للكثرة، قال الله عز وجل: «إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات، وقال: «فى جنات» وقال: «فى الغرفان آمنون»، فالمسلمون ليسوا فى جنات قليلة، ولكن إذا خص القليل فى الجمع بالألف والتاء، فالألف والتاء أدل عليه، لأنه يلى التثنية، تقول : حمام وحمامان وحمامات، فتؤدى بناء الواحد، فهذا أدل على القليل، وجائز حسن أن يراد به الكثير، ويدل المعنى المشاهد على الإرادة كما أن قولك: (جمع) يدل على القليل والكثير» أهـ زجاج.

(٢) يقول ابن جنى فى المحتسب ١/ ١٨٧ عند قراءة «فالصوالح قوانت حوافظ للغيب» النساء ٣٤. «والألف والتاء موضوعتان للقلة، فهما على حد التثنية بمنزلة (الزيدون) من الواحد إذا كان على حد (الزيدان). هذا موجب اللغة على أوضاعها، غير أنه قد جاء لفظ الصحة، والمعنى الكثرة، كقوله تعالى «إن المسلمين والمسلمات» إلى قوله تعالى: «والذاكرين الله كثيرا والذاكرات» والغرض فى جميعه الكثرة لا ماهو لمابين الثلاثة والعشرة» أ هـ ابن جنى.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وذكر «البغدادى» فى «خزانة الأدب» عند الحديث عن الشاهد الرابع والستين بعد المائة[١] لنا الجفنات الغر يلمعن بالضحى.. مايقرب من عشر صفحات، ولكنى أكتفى بما ذكرت، لأنه ليس موضوعا أساسيا فى بحثى.

الضمير العائد على جمع التصحيح

* **جمع التصحيح للعاقل:**

إن كان لمذكر يأتى ضميره بلفظ الجمع (هم)، أو (واو الجماعة).

وإن كان لمؤنث يأتى ضميره بلفظ الجمع (هن) أو (نون النسوة).

* **وجمع التصحيح لغير العاقل:**

أ- إن كان للكثرة فالأفصح عند النحاة أن يأتى ضميره مفردا مؤنثا.

ب- وإن كان للقلة أتيت به جمعا، وذلك كقاعدة جمع التكسير لغير العاقل، وسبق أن ذكرنا اختلاف النحاة فى دلالة جمع التصحيح.

وسنورد بعض الآيات التى ورد مرجع الضمير فيها مخالفا لقاعدة الافصح وفقا لمدلول القلة والكثرة، والآيات التى يحتمل فيها الكثرة أو القلة، وتخريج ماورد مخالفا لتلك القاعدة.

من مخالة الضمير لمرجعه
عود الضمير مفردا مذكرا على جمع التصحيح
لمؤنث غير عاقل

١- قال تعالى: ﴿وآتوا النساء صدقاتهن نحلة، فإن طبن لكم عن شئ منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا﴾. النساء ٤.

---

(١) الخزانة ٨/١٠٦.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

تذكر كتب التفاسير والأعاريب فى عود الضمير مفردا مذكرا- منه- على جمع التصحيح لمؤنث- صدقات- عدة أقوال:

أحدهما: أنه أجرى الضمير فى العود على الجمع مفردا كاستعمال اسم الاشارة المفرد للدلالة على الجمع فى قوله تعالى: ﴿**زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب قل أونبئكم بخير من ذلكم**﴾[1] آل عمران ١٣، ١٤.

وكما أجرى الضمير فى قول رؤبة[2]:

فيها خطوط من سواد وبلق كأنه فى الجلد توليع البهق

قال رؤبة: اردت كان ذاك[3].

ثانيهما: ذكر الضمير بالنظر إلى المعنى، ليراد به الصداق الواحد، فيكون متناولا للبعض، ولو أنث لتناول ظاهر اللفظ، وهو: منه الصداق كله، وفى ذلك يقول أبو حيان: «وحسن تذكير الضمير أن معنى (فإن طبن)، أى: فإن طابت كل واحدة، فلذلك قال: (منه) أى من

---

(١) انظر الكشاف ١/٤٩٨.

(٢) انظر الدر المصون ٣/٧٥٢.

(٣) استشهد الزمخشرى بالبيت المذكور على كون الضمير فى الآية (منه) جاريا مجرى اسم الاشارة، كأنه قيل: عن شيئ من ذلك كما قال الله تعالى: «قل أونبئكم بخير من ذلكم» بعد ذكر الشهوات. واسم الاشارة وان كان مفردا قد يشار به إلى مجموع، فقد قيل لرؤبة: كيف قلت: كأنه فى الجلد توليع البهق، وقد تقدم: (فيها خطوط من سواد وبلق) فقال: «أردت كان ذاك» الكشاف ١/٤٩٨. وشرح شواهده الجزء الرابع ٤٦٢.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

صداقها، وهو نظير: «واعتدت لهن متكئا، أى لكل واحدة منهن، ولذلك أفرد (متكئا)»[١].

ثالثهما: يعود على (المال) المستفاد من قوله (صدقاتهن)، وإن لم يجر له ذكر.

رابعهما: يعود على المصدر المستفاد من: (آتوا)، وهو: الإيتاء[٢].

خامسهما: يعود على (الصداق) المدلول عليه بـ (صدقاتهن)[٣].

سادسهما: يعود على الصدقات لسد الواحد مسدها، لو قيل: (صداقهن) لم يختل المعنى، وهو شبيه بقولهم: هو أحسن الفتيان وأجمله، لأنه لو قيل: هو أحسن فتى لصح المعنى، ومثله:

وطاب ألبان اللقاح وبرد.

فى (برد) ضمير يعود على (ألبان) لسد (لبن) مسدها[٤].

١- «وفى الحديث النبوى: «خير نسان ركبن الابل خيار نساء قريش أحناه على ولد فى صغر وأرعاه على زوج فى ذات يده».

---

(١) انظر البحر المحيط ٣/١٦٦.

(٢) ومثل هذا التخريج عود الضمير مذكرا فى قوله تعالى: «ان تبدوا الصدقات فنعما هى، وان تؤتوها وتخفوها الفقراء فهو خير لكم». البقرة ٢٧١.

(٣) انظر الدر المصون ٣/٤٦٢.

(٤) فى باب الحمل على المعنى من الخصائص ٢/٤١٩ يقول ابن جنى: قال ذو الرمة

ومية أحسن الثقلين وجها وسالفة وأحسنه فذالا

فأفرد الضمير مع قدرته على جمعه، وهذا يدلك على قوة اعتقادهم أحوال المواضع وكيف مايقع فيها، ألا ترى أن الموضع موضع جمع، وقد تقدم فى الأول لفظ الجمع فترك اللفظ وموجب الموضع إلى الإفراد، لأنه مما يؤلف فى هذا المكان. أ هـ.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فقد أتى بالضمير فى قوله(أحناه وأرعاه) مفردا ذهابا إلى المعنى، فإن قوله: (خير نساء) فى معنى: (خير من وجد وخلق)، قال ابن الأثير: «ومنه قولهم: أحسن الناس خلقا، وأحسنه وجها» قال ابن الأثير: وهو كثير من أفصح الكلام»[١].

٢- قال تعالى: ﴿**وكذلك نصرف الآيات، وليقولوا درست ولنبينه لقوم يعلمون**﴾. الأنعام ١٠٥.

عاد الضمير فى(ولنبينه) إلى الآيات بالحمل على المعنى، لأنها فى معنى (القرآن)، والقرآن مفرد مذكور، أو إلى(القرآن)- أيضا- وإن لم يجر له ذكر، لأنه من المعلوم أنه إذا أطلقت الآيات انصرف ذلك إلى القرآن، فإن القرآن ماهو إلا آيات أنزلت وتليت، أو إلى المصدر المفهوم من (نبينه)، أو المصدر المفهوم من (نصرفه)، أى (النبيين) أو (التصريف).

عود الضمير على جمع المؤنث مفردا مؤنثا مرة ومفردا مذكرا أخرى

يقول الله تعالى: ﴿**إن تبدوا الصدقات فنعما هى وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم**﴾. البقرة ٢٧١.

١- قوله تعالي: ﴿**إن تبدوا الصدقات فنعما هى**﴾.

فى الضمير المفرد العائد (هى) عائد على (الصدقات) أقوال:

أ- قيل: إنه على حذف مضاف مقدر، وهو مصدر مستفاد من قوله «إن تبدو». (الإبداء)، أى: فنعما إبداؤها[٢] واستحسنه

---

(١) مستقى من بلاغة القرآن ٧٥.

(٢) انظر البحر المحيط ٢/٣٢٤، البرهان ٣/٣٦٧.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الزركشي[١] وابن الحاجب[٢].

ب- وقيل: يعود على الصدقات بقيد وصف (الإبداء) والتقدير: فنعما الصدقات المبداة[٣].

«وإن تخفوها وتؤتوها» الضمير المنصوب عائد على (الصدقات) لفظا ومعنى.

٢- قوله: «فهو خير لكم» الضمير (هو) عائد عل المصدر المفهوم من قوله: «إن تخفوها»، والتقدير: فالإخفاء خير لكم[٤].

٣- قال تعالى: ﴿ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه فأعرض عنها ونسى ماقدمت يداه إنا جعلنا فى قلوبهم أكنة أن يفقهوه﴾.

الكهف ٥٧.

عاد الضمير مفردا مؤنثا (فأعرض عنها) ثم عاد الضمير مفردا مذكرا على (الآيات)، لأنها لما أضيفت إلى الرب وضح أنها القرآن، وفى ذلك يقول أبوحيان: «والآيات المضاف إلى الرب هو القرآن ولذلك عاد الضمير مفردا فى قوله: أن يفقهوه»[٥].

---

(١) يقول الزركشى: «والظاهر عود الضمير إلى الإبداء بدليل قوله: «وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم».

(٢) فى أمالى ابن الحاجب ١/ ٤٠: «الضمير فى (فهى) يحتمل أن يكون عائدا على (الابتداء)، وهذا هو الظاهر بدليل الضمير العائد على الاخفاء، ولو قصد (الصدقات) لقال (فهى)، فلئن قيل: «لم أنت الذى عاد عليه مذكر؟ فالجواب: أن هذا على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه، كقولك: القرية اسألها فلما حذفت المضاف بقى المضاف إليه على حاله، والتقدير: إبداؤها، والله أعلم بالصواب» أهـ.

(٣) البحر المحيط ٢/ ٣٢٤.

(٤) البحر المحيط ٢/ ٣٢٤.

(٥) انظر الكشاف ٢/ ٤٨٩، البحر المحيط ٦/ ١٣٩.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٢- عود الضمير مجموعا على جمع التصحيح لمؤنث غير عاقل

١- يقول الله تعالى: ﴿منه آيات محكمات هن أم الكتاب﴾.

آل عمران ٧.

اختلف فى عدد الآيات وبيانها، فقيل إنها ثلاث آيات فى الانعام وهى: ﴿قل تعالوا أتل ماحرم ربكم عليكم﴾ إلى قوله: ﴿ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون﴾.[١] وقيل: المحكم سورة الفاتحة، وقيل: سورة الاخلاص وقيل: المحكمات ماليس فيها تصريف ولاتحريف وقال مقاتل: المحكمات خمسمائة آية، لأنها تنبسط معانيها فكانت أم فروع قيست عليها وتولدت منها كالأم يحدث منها الولد، ولذلك سماها أم الكتاب وقيل: المحكم الفرائض والوعد والوعيد... وقيل: فواتح السور و«ألم» و «المر» وقيل: المحكم ما أمرالله به فى كل كتاب أنزله، نحو قوله: «قل تعالوا أتل»، ونحو: «وقضى ربك...الآيات»[٢].

٢- يقول الله تعالى: ﴿وإذ ابتلى ابراهيم بكلمات فاتمهن﴾.

البقرة ١٢٤.

قيل: انه أمر بخلال عشر من السنة، خمس فى الرأس، وخمس فى الجسد[٣]، وقيلك إنها العشرة التى من الفطرة، وقيل: حلق العانة ونتف الإبط وتقليم الأظافر وقص الشارب، وغسل يوم الجمعة والطواف بالبيت، والسعى ورمى الجمار، والإفاضة، وقيل: إنها ثلاثون سهما فى الإسلام لم يتم ذلك أحدا إلا ابراهيم، وهى عشر فى (براءة): التائبون... الآية، وعشر فى (الأحزاب):

---

(١) أنظر معانى القرآن للفراء ١/ ١٩٠.

(٢) أنظر البحر المحيط ٢/ ٣٨١.

(٣) البحر ١/ ٣٧٥.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

إن المسلمين ... الآية، وعشر فى: «قد أفلح المؤمنون»، وفى المعارج: وقيل: هى الخصال الست التى امتحن بها: الكواكب والقمر والشمس والنار والهجرة والختان، وقيل- بذل الهجرة-: الذبح لولده وقيل: مناسك الحج، وقيل: كل مسألة سألها ابراهيم فى القرآن مثل: «رب اجعل هذا البلد آمنا» وقيل: هى قول «سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولاحول ولاقوة إلا بالله العلى العظيم» وقوله : «ربنا تقبل منا»، وقيل: هو قوله: الذى خلقنى فهو يهدين... وقيل: عشر: شهادة أن لا إله إلا الله- وهى الملة- والصلاة- وهى الفطرة- والزكاة- وهى الطهرة- والصوم- وهو الجنة- ، والحج وهو الشعيرة، والغزو- وهو النصرة ، والطاعة- وهى العصمة-، والجماعة - وهى الألفة-، والأمر بالمعروف- ، وهو الوفاء، والنهى عن المنكر- وهو الحجة- وقيل غير ذلك[١].

٣- ﴿إن الحسنات يذهبن السيئات﴾. هود ١١٤.

فسر البعض (الحسنات) بعموم الحسنات من الصلوات المفروضة وصيام رمضان وما أشبهما من فرائض الاسلام، وخصوص السيئات، وهى الصغائر، وذهب بعضهم إلى أنه يراد بالحسنات: الصلوات الخمس، وقيل: قول الرجل: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولاحول ولاقوة إلا بالله العلى العظيم»[٢].

٤- ﴿تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن﴾. الاسراء ٤٤.

نقل أبوحيان[٣] وتبعه السمين الحلبى[٤]عن ابن عطية: أنه أعاد ضمير من يعقل (هن) على السموات والأرض، وهى مما لاتعقل لما أسند إليها فعل

---

(١) باختصار عن البحر المحيط ١/ ٣٧٥.

(٢) أنظر البحر المحيط ٥/ ٢٧٠.

(٣) البحر المحيط ٦/ ٤١.

(٤) الدر المصون ٧/ ٣٦٢.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

التسبيح الذى هو للعاقل واعترض عليه بأنه تخيل أن (هن) لايكون إلا لمن يعقل من المؤنثات، وإنما هو لجمع الإناث مطلقا.

٥- ﴿قال بل ربكم رب السموات والأرض الذى فطرهن﴾.

الأنبياء ٥٦.

يستظهر أبوحيان عود الضمير فى (فطرهن) على السموات والأرض[١] ويعلل لعوده مجموعا بقوله: «ولما لم تكن السموات والأرض تبلغ فى العدد الكثير منه جاء الضمير ضمير قلة وينقل عن الزمخشرى قوله: «وكونه للتماثيل أدخل فى تضليلهم وأثبت للاحتجاج عليهم»[٢].

وينقل[٣] ويتابعه السمين الحلبى[٤] عن ابن عطية وغيره بتنزيل السموات والأرض منزلة من يعقل حيث كان لها طاعة وانقياد.

ويعترضان على هذا بما اعترض سابقا على ابن عطية فى الآية: «تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن» بأن لفظ (هن) ليس قاصرا على مؤنث من يعقل، بل هو لفظ مشترك بين العاقلات وغيرها، قال تعالى: ﴿ فلاتظلموا فيهن أنفسكم﴾ والضمير عائد على الأربعة الحرم.

٦- ﴿ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا وجعل القمر فيهن نورا﴾. ١٦، ١٧ نوح.

يقول السمين الحلبى[٥]: «قوله: فيهن، أى في السموات والقمر، إنما هو فى سماء واحدة منهن.

قيل: هو فى السماء الدنيا، وإنما جاز ذلك لأن بين السموات ملابسة فصح ذلك، وتقول: زيد فى المدينة، وإنما هو فى زاوية من زواياها» أهـ.

---

(١) البحر المحيط ٦/٣٢١.

(٢) الكشاف ٢/٥٧٦.

(٣) أبوحيان فى البحر ٦/٣٢١.

(٤) الدر المصون ٨/١٧٠.

(٥) الدر المصون ١/٨٧١

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٣- عود ضمير الجمع للمذكر على ماجمع بألف وتاء مزيدتين

قال الله تعالى: ﴿له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله﴾. الرعد ١١.

١- المعقبات[١]: ذكران، فجمع(معقب) على (معقبة) كما جمع (ملك على ملائكة)، ثم جمع (معقبة) بالألف والتاء على (معقبات)[٢].

٢- وقيل: ان (معقبة) بمعنى (معقب) والتاء للمبالغة، ولما ختم بالتاء جمع بالألف والتاء، فمعقبة على هذا ليست جمعا يقول أبوحيان:[٣] «والمعقبات جمع معقبة والهاء للمبالغة، فيكون كرجل نسابة، وقيل: جمع معقبة وهى الجماعة التى تأتى بعد الأخرى جمعت باعتبار كثرة الجماعة ويعترض على ابن «جرير الطبرى» فى قوله: «إن معقبة جمع معقب وشبه ذلك برجل ورجلات»، فيقول: «وليس كما ذكر، إنما ذلك كجمل وجمال وجمالات، ومعقبة ومعقبات إنما هى كضارب وضاربات. قاله ابن عطيه». ثم يجد لكلام الطبرى مخرجا بقوله: «وينبغى أن يتأول كلام الطبرى على أنه أراد بقوله: «جمع (معقب): إنه أطلق من حيث الاستعمال على جمع (معقب)، وإن كان

---

(١) المعقبات: الملائكة: ملائكة الليل وملائكة النهار، وهما يتعاقبان، والمعقبات جمع: معقبة، والتاء للمبالغة كعلامه ونسابه، «ومعقب» بزنة «مفعل» من عقب الرجل: إذا جاء على عقب الآخر، لأن بعضهم بعقب بعضا، أو لأنهم يعقبون مايتكلمون به فيكتبونه. البحر المحيط ٥/ ٣٧١.

(٢) انظر معانى الفراء ٢/ ٦٠.

(٣) البحر المحيط ٥/ ٣٧١.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أصله أن يطلق على مؤنث معقب، وصار مثل (الواردة) للجماعة الذين يردون، وإن كان أصله أن يطلق على مؤنث (وارد) من حيث أن يجمع جموع التكسير للعاقل يجوز أن يعامل معاملة المفردة المؤنثة في الإخبار، وفى عود الضمير، لقوله: العلماء قائلة كذا وقولهم: الرجال وأعضادها، وتشبيه الطبرى ذلك برجل ورجال ورجالات من حيث المعنى، لا من حيث صناعة النحويين، «فتبين أن (معقبة) حيث أريد به الجمع كرجال من حيث وضع للجمع، وأن (معقبات) من حيث استعمل جمعا لمعقبة المستعمل للجمع كرجال الذى هو جمع رجل» أهـ .

نخلص من هذا أن (معقبات) سواء كانت جمعا لمعقبة التى هى جمع لمعقب، أو للتى التاء فيها للمبالغة كعلامة، فإنها صفة للملائكة، وهى من حيث المعنى ذكور، ولذلك عاد الضمير عليها بحسب المعنى لابحسب اللفظ.

٤- عود ضمير المثنى على جمع التصحيح

قد يعود الضمير مثنى على جماعة من الذكور أو الاناث، إذا كانت الأفراد مصنفة ومقسمة ومتواجدة تحت نوعين، كل مجموعة أو فئة متميزة بصفات معينة، ولذلك اعتبر كل منهما كفرد واحد أو فرقة فجاز تثنيتها بهذا الاعتبار، ومن ثم جاز عود الضمير عليهامثنى فمن ذلك قوله تعالى: ﴿**مثل الفريقين كالأعمى والأصم والبصير والسميع هل يستويان مثلا**﴾ فقد عبر عن الأعمى والأصم بالفريق، والبصير والسميع بالفريق الآخر، ولذلك جعل كل من: الأعمى والأصم فريقا وجعل الآخرين فريقا ثم عبر عن كل منهما بالفريقين، وأعاد عليهما الضمير مثنى بهذا الاعتبار ولم يقل: «هل يستوون»

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

مع كون عدد المذكورين أربعة لا اثنين، وذلك لكون كل منهما مشتركا فى صفات مختلفة ومغايرة للفئة الأخرى(١).

وأيضا فى قوله تعالى: ﴿أو لم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما﴾(٢). فقد جعل السموات فرقة والأرض فرقة أخرى أو كل منهما جماعة، أو جعل السموات لاشتراكها فى صفة واحدة، وإن تعددت فهى جمع (سماء) منزلة منزلة الواحد، وقابلهما بالأرض، وهى مفرد لفظا ومتعددة فى المعنى، فهما على هذا النحو شيئان، وفى هذا المعنى قوله تعالى: ﴿إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا ولئن زالتا إن أمسكها...﴾. فاطر ٤١.

---

(١) الآية ٢٤ من سورة هود، وفى هذا الصدد يقول الفراء ٢/٧: «لم يقل هل يستوون، وذلك أن الأعمى والأصم من صفة واحدة، والبصير والسميع من صفة واحدة كقول القائل: «مررت بالعاقل واللبيب، وهو يعنى واحدا» أهـ.

(٢) الأنبياء ٣٠، وفى ذلك يقول الزمخشرى فى الكشاف ٢/ ٥٧٠: «وانما قيل: «كانتا» دون «كن»، لأن المراد جماعة السموات وجماعة الأرض، ويقول أبوحيان «قال الزجاج: السموات جمع أريد به الواحد، ولهذا قال: كانتا رتقا، لأنه أراد السموات والأرض ويقول أبوحيان- أيضا- «جعل السموات نوعا والأرض نوعا، فأخبر عن النوعين كما أخبر عن اثنين، وقال الحوفى: «كانتا رتقا، والسموات جمع، لأنه أراد الصفتين، ومنه قول أبو الأسود بن يعفر:

إن المنية والحتوف كلاهما ... يوافى المحارم يرقبان سوادى

لأنه أراد النوعين، وقال أبوالبقاء: الضمير يعود على الجنسين، وقال ابن عطية: «وقال: كانتا من حيث هما نوعان» أهـ. أبوحيان فى البحر المحيط ٣/٣٠٨.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

تعقيب على ضمير جمع المؤنث

١- فى ضوء ماسبقت الاشارة إليه من انقسام العلماء فى دلالة جمع التصحيح إلى فريقين:

١- فريق قال بالقلة، ولم يمنع ورودها للكثرة.

٢- وفريق ذهب إلى الاطلاق، وأنها ترد بحسب المقام، فتارة تأتى للقلة، وتارة تأتى للكثرة.

٢- وعلى ضوء ما أوردنا من آيات جمع المؤنث السالم نستطيع أن نلحظ الآتى:

أ- ماورد للعاقل قد عاد الضمير عليه مجموعا مؤنثا إلا فى آية واحدة، هى قوله تعالى: ﴿**له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله**﴾، فقد ورد بضمير جمع المذكر السالم (واو الجماعة)، وذلك لاعتبارات وتفسيرات ذكرها المفسرون والنحاة بأن المراد بالمعقبات: الملائكة والملائكة ذكران، والتاء فى المفرد للمبالغة (معقبة)، أو أن معقبة صفة لجماعة، ثم جمع هذا الجمع، وعاد إلى التذكير باعتبار المعنى.

ب- غير العاقل عاد الضمير مفردا على ماجمع بالألف والتاء كثيرا، ولو استعرضنا الفاظ هذه الجموع لوجدنا منها (الأمانات) و(الصدقات) و(الثمرات) و (الجنات)، وهى تشمل أعدادا كثيرة، فالمؤتمن عليه كثير، والصدقة باعتبار صدورها من أشخاص وفى أزمان مختلفة كثيرة، ومنازل الجنات، أو الأعداد الداخلون اليها كثيرون، لو قلنا: إن لكل منهم جنة، وإن شاركه فيها غيره. أما (آيات) فقد وردت بضمير المفرد فى معظم المواضع التى ذكرت فيها، وأتت بضمير الجمع فى قوله تعالى:

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

﴿منه آيات محكمات هن أم الكتاب﴾، ولقد اختلف المفسرون فى المقصود منها، وأرجعها بعضهم إلى مادون العشرة، وعلى هذا يكون عود الضمير مجموعا على قاعدة النحويين فى الأفصح، وأرجعها بعضهم إلى مافوق العشر وأوصلها بعضهم إلى خمسمائة آية، وعلى هذا لا توافق قاعدة الأفصح عند النحاة، وأما (الحسنات) فإنها كثيرة لو نظرنا إلى تعددها باعتبار صدورها من أناس كثيرين وفى أوقات متعددة، ولكن بعض المفسرين فسرها باعتبار تعدد أجناسها، فقال: إنها عموم الحسنات من الصلوات المفروضة وصيام رمضان وماأشبهها من فرائض الاسلام كأنه أراد أركان الاسلام الخمسة، وقصرها بعضهم على الصلوات الخمس، وقيل: قول الرجل: سبحان الله والحمد لله ولاإله إلا الله، والله أكبر ولاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم».

وبهذه التفسيرات تكون جمع قلة ويناسبها ضمير الكثرة على الأفصح وأما (كلمات)، فلقد أرجعها بعضهم إلي عشرة، وبعضهم إلى ست خصال، وقيل: بذل الهجرة، وقيل ذبح اسماعيل، وقيل مناسك الحج وبهذا يكون مرجع الضمير مجموعا على الأفصح عند النحاة، وأوصلها بعضهم إلى ثلاثين سهما، وبهذا يكون مرجع الضمير على غير الأفصح أما لفظ (السموات) فقد ورد الضمير معه بلفظ الجمع فقط سواء قرن بالأرض أو بدونها، أو مع الجبال».

أ- وهى مع الأرض أو بدونها دون العشرة، وعلى هذا يمكن أن يقال: إنه جاء مجموعا على قاعدة الأفصح عند النحاة، أما مع الجبال فهو فوق العشرة، وهذا مخالف لقاعدة الأفصح، فان جمع الكثرة كما ذكرنا من قبل يناسبه ضمير المفرد.

ب- بيد أننا نستطيع أن نقول: انها مع الأرض قد تزيد عن العشرة- أيضا- لما جاء فى الآية الثانية من سورة الطلاق: ﴿الله الذى خلق سبع

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

سموات طباقا ومن الأرض مثلهن﴾ فقد اختلف الناس فى المثلية، فقيل: مثلها في العدد، وقيل: فى بعض الأوصاف، فإن المثلية تصدق بذلك، والأول هو المشهور[١].

وبهذا يمكن أن تعتبر آيات الأرض فوق العشرة، باعتبار أن السموات سبع والأرض سبع، فيكون مجموعهما أربع عشرة.

ونعود فنقرر: إن الرأى الذاهب إلى أن دلالة جمع التصحيح قد يراد بها الكثرة أو القلة- على الاطلاق- هو أنسب الرأيين، وعليه لانجد تعارضا بين مجيئ الضمير مفردا أو مجموعا، وبين ماقاله النحاة وما ورد فى كتاب الله: فإن كان المقام للكثرة ناسبه ضمير الإفراد، وإن كان للقله ناسبه ضمير الجمع، بل إن الآيات التى تدل على الكثرة فى ظاهرها قد فسرها البعض على القلة، بل إنه على تأويل الآخرين، فإنه جائز، فكما يقولون: إن المقام للأفصح لا للجواز.

٢- أما عن عود ضمير المفرد المذكر على جمع المؤنث فقد سبق أن ذكرنا عند الحديث عن الآية ١٠٥ من سورة الأنعام، والآية ٥٧ من سورة الكهف أنه قد يرجع الضمير إلى مايستفاد من الفعل المذكور فى جملته كالفعل (نصرف) أو (درست) والفعل (نبين) من معنى المصدر المفهوم من ذلك الفعل فيفسر مرجع الضمير بالتصريف، أو الدراسة، أو التبيين ونحو ذلك، فعاد الضمير مفردا مذكرا بهذا الاعتبار، فالمخالفة هنا للأصل فى الضمير، وهو الورود مؤنثا مجموعا لغير العاقل إن كان مدلول الجمع للقلة، ومفردا إن كان مدلول الجمع للكثرة على قاعدة الأفصح عند النحاة، فضلا عن مدلول جمع المؤنث السالم على إطلاقه، والاختلاف الوارد فيه عند النحاة، وهو ما أشرنا إليه فى موضعه.

---

(١) الدر المصون ١/٣٦١.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وقد يفسر مرجع الضمير بحسب المعنى الوارد فى الآيات، وهى آيات كتاب الله فمعناها (القرآن)، والقرآن مذكر فعاد الضمير مذكرا حملا على المعنى الذى قلناه وفى سورة النساء الآية الرابعة ﴿**وآتوا النساء صدقاتهن نحلة، فإن طبن لكم عن شئ منه نفسا**﴾ له عدة تفسيرات، انه أجرى الضمير مرجع اسم الاشارة كما يشار إلى جمع غير العاقل بالمفرد، كما أشيربذلك إلى الجمع فى قوله: «زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة» ثم قال: ذلك متاع الحياة الدنيا»، أو قد يكون أراد به بعض الصدقات، لأن لكل واحدة (صداقا واحدا)، أو جاز ذلك لسد الواحد مد الجمع فلو قال: (صداقهن) مضافا إلى ضمير الجمع لم يختل المعنى، أو على (الصداق) المدلول عليه بصدقاتهن.

وفى الآية تفسيرات بعود الضمير على غير (الصدقات).

٣- أما ماورد من عود الضمير مثنى على جمع التصحيح، فهذا محمول على اعتبارات أخرى وتأويلات وتفسيرات منها مايرجع إلى المعنى، ومنها مايرجع إلى غير ذلك.

فقد تكون الأفراد المذكورة مصنفة ومتواجدة ومتجانسة تحت نوعين وقسمين وفئتين، تتميز كل منها بصفات واحدة تختلف عن الأخرى، فتوضع وتصنف كل منها بصفة الجنس الواحد، وعلى هذا تصير فى المعنى كالوحدة الواحدة أو كالفرد الواحد ثم تثنى بهذا الاعتبار، كما ذكرنا تفصيلا عند الحديث عن الآية رقم ٣٠ من سورة الأنبياء» أو لم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما».

ومن هذا القبيل ماورد فى الآية رقم ٢٤ من سورة هود: ﴿**مثل الفريقين كالأعمى والأصم والبصير والسميع هل يستويان مثلا**﴾.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

عبر عن الأعمى والأصم بالفريق، والبصير والسميع بالفريق الآخر، وذلك لاشتراك الأخيرين فى صفات مغابرة، ولذلك ثناهما، فقال: «الفريقين»، ثم دلل على كون كل منهما مختلف عن الآخر، فقال «هل يستويان» وعود ضمير المثنى على الجمع موجود فى كلام العرب الفصيح، ومن ذلك ماذكره «العكبرى» تعقيبا على حديث رسول الله فى كتاب(العلم) فى شأن موسى وفتاه يوشع والخضر، وذلك لداع بلاغى تحت عنوان: عود ضمير المثنى الى الجمع لأهمية اثنين منهم.

يقول العكبرى: وقوله: «فكلموهم أن يحملوهما، فعرف الخضر فحملوهما». والمعنى: أن موسى والخضر ويوشع قالوا لأصحاب السفينة: هل تحملوننا، فعرفوا الخضر فحملوهم، فجمع الضمير فى (فكلموهم) على الأصل وثنى (حملوهما)، لأنهما المتبوعان، و(يوشع) تبع لهما، ومثله قوله تعالى: ﴿**ان هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكمامن الجنة فتشقى**﴾، فثنى، ثم وحد، لما ذكرنا» أهـ - عكبرى [1].

---

(١) انظر كتاب اعراب الحديث للعكبرى ص٩٦، من حديث طويل ذكر بهامش الكتاب وذكره البخارى وورد فى كتاب: فتح البارى بشرح صحيح البخارى لابن حجر العسقلانى «كتاب العلم ١/٢٦٣- نقتطف منه مايأتى:

«قام موسى النبى خطيبا فى بنى اسرائيل، فسئل: أى الناس أعلم؟ فقال: أنا أعلم، فعقب الله، اذ لم يرد العلم اليه، فأوحى الله إليه أن عبدا من عبادى بمجمع البحرين هو أعلم منك، قال: يارب، وكيف به؟ فقيل له: احمل حوتا فى مكتل، فإذا فقدته فهو ثم، فانطلق، وانطلق بفتاة يوشع بن نون..... فسلم موسى، فقال الخضر، وانى بأرضك السلام؟ فقال: أنا موسى، فقال: موسى بنى اسرائيل؟ قال: نعم .... فانطلقا يمشيان على ساحل البحر، ليس لهما سفينة فمرت بهما سفينة فكلموهم أن يحملوهما فعرف الخضر فحملوهما بغير نول..... فقال موسى: قوم حملونا بغير نول عمدت إلى سفينتهم فخرقتها لتغرق أهلها..... إلخ الحديث.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الضمير العائد على جمع التكسير للكثرة

يكاد يكون الضمير مطابقا لما قرره النحاة فى الأفصح، يعود على جماعة العاقلين، والعاقلات بضمير الجمع، والآيات فى ذلك كثيرة، كما يعود على جمع التكسير لغير العقلاء بضمير المفرد، ومن ذلك على سبيل المثال لا الحصر فى على الجمع على (فعول) لغير العقلاء قوله تعالي:

١- ﴿**وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى، واتوا البيوت من أبوابها**﴾. البقرة ١٨٩.

الضمير فى (ظهورها) و(أبوابها) عائد على (البيوت) وعاد كضمير المؤنث والواحدة، لأن (البيوت) جمع كثرة، ومعلوم أن جمع التكسير لما لايعقل هو من المؤنث المجازى، وإن كان لفظه مذكر، ولذا يجوز أن يؤنث له الفعل كما قال الله تعالى: ﴿**قالت الأعراب...**﴾ والأفصح فى جمع الكثرة أن يعود الضمير عليه كضمير المؤنث المفرد[١].

٢- ﴿**فلنأتينهم بجنود لاقبل لهم بها**﴾. النمل ٣٧.

الضمير فى (بها) عائد على (الجنود)، وهو جمع تكسير للكثرة، ويقال فيه ماقلنا فى الآية السابقة يقول أبوحيان[٢]: «يجوز أن يعود الضمير عليه كما يعود على الواحدة كما قالت العرب: «الرجال وأعضادها» أه.

وقد لايطابق ضمير جمع غير العقلاء فى آيات قليلة نذكر منها:

---

(١) انظر البحر المحيط ٢/٦٤.

(٢) البحر المحيط ٧/٤٧.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

من مخالفة الضمير العائد على جمع الكثرة

١- قوله تعالى: ﴿حتى إذا كنتم فى الفلك وجرين بهم﴾. يونس ٢٢.
عاد الضمير على (الفلك)[١] كضمير جمع العاقلات المؤنث (نون النسوة).

أما كونه مؤنثا، فلما تقرر من أن جمع التكسير قد يفسر بالجماعة كما قيل فى تأنيث الفعل له على هذا النحو، أو لما ذكره «الفراء» من أن كل ذكر من غير الناس وشبههم فهو فى جمعه مؤنث[٢].

أما كونه جمعا، فقد جاء على قاعدة غير الأفصح عند النحويين ويمكن أن نقول لما كان هذا اللفظ يأتى للمفرد فنزل لفظه فى الجمع الكثير منزلة الجمع القليل القريب من المفرد فعاد الضمير عليه كما يعود على الجمع القليل الذى يناسبه ضميرا لجمع طبقا لقاعدة الأفصح عند النحاة.

---

(١) الفلك- بالضم- السفينة تذكر وتؤنث، وتقع على الواحد والاثنين والجمع... قال الله فى التوحيد والتذكير: «فى الفلك المشحون» فذكر (الفلك) وجاء به موحدا، ويجوز أن يؤنث واحده كقول الله تعالى: «جاءتها ريح عاصف، قال (جاءتها) فأنث وقال: «وترى الفلك فيه مواخر» فجمع، وقال تعالى: «والفلك التى تجرى فى البحر» فأنث، ويحتمل أن يكون واحدا وجمعا، وقال تعالى: «حتى إذا كنتم فى الفلك وجرين» فجمع وأنث، فكأنه يذهب بها إذا كانت واحدة إلى (المركب) فيذكر، وإلى (السفينة) فيؤنث، وقال الجوهرى: وكان سيبويه يقول: الفلك التى هى جمع تكسير الفلك التى هى واحد... ثم قال الجوهرى: ان (فعلا) و(فعلا) يشتركان فى الشيء الواحد مثل العرب والعرب والعجم والعجم والرهب والرهب، ثم جاز أن يجمع (فعل) على (فعل)، قال ابن برى: إذا جعلت الفلك واحدا فهو مذكرا لاغير، وإن جعلته جمعا فهو مؤنث لاغير، وقد قيل: إن (الفلك) يؤنث وإن كان واحدا» أهـ لسان العرب.

(٢) معانى القرآن ١٨/٣.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٢- ﴿وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله﴾ فصلت ٢١.

لما أسند إلى الجلود فعل العقلاء، وهو (القول) و(النطق) أعطى للجلود مايعطى للعقلاء من الضمير لما تنزلت منزلة العقلاء.

٣- ﴿وماعلمتم من الجوارح مكلبين تعلمونهن مما علمكم الله فكلوا مماأمسكن عليكم﴾. المائدة ٤.

لما أسند إلى الجوارح فعل العقلاء وهو التعليم شبهت بالعقلاء، لأنهم الذين يتعلمون فيعلمون فأعطى لها ضمير العاقلات وهو (هن) و (النون) .

٤- ﴿ومن آياته الجوار فى البحر كالأعلام ان يشأ يسكن الريح فيظللن رواكد على ظهره﴾. الشورى ٣٢، ٣٣.

أتى بضمير العاقلات (نون النسوة) ومرجعه لغير العقلاء، وذلك جائز، ولكنه على قاعدة الأفصح عند النحويين يناسبه ضمير الأفراد.

ويمكن أن نقول: ان الجرى صفة مشتركة بين العقلاء وغيرهم، وهى بالعقلاء أكثر فناسبه أن يأتى بضمير العقلاء.

وقد جاءت بعض الضمائر كضمير العقلاء مرة، وكضمير غير العقلاء مرة أخرى، وذلك لاختلاف المقصد، فقد يراد من اللفظ (الجمع) ظاهره لا المحتوي، وقد يراد به ما اشتمل عليه من الأشخاص، ومن ذلك:

١- (أمم) لما قصد لفظها، وهو الوصف الذى يطلق على مجموعات تتصف بصفات معينة وتشترك فى ميزات واحدة عاد الضمير عليها مفردا لأنه لايقصد بها الأشخاص ولما أريد نفس الأشخاص المدلول عليهم بتلك اللفظة عاد الضمير عليها كضمير العقلاء (هم) و(واو الجماعة).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٢- وكذلك (القرى) لما أريد لفظها، وهى الأبنية والأحجار عاد الضمير عليها بالإفراد، ولما أريد أهلها القاطنون بها ناسب ذلك ضمير العقلاء، وهو (هم) و (واو الجماعة).

﴿وتلك القرى أهلكناهم لما ظلموا﴾. الكهف ٥٩.

أشار إلى الأبنية بقوله: وتلك، ولكنه يريد ما اشتملت عليه، أى الأهل، ونظير ذلك: واسأل القرية التى كنا فيها: فأراد أولا القوم فقال: واسأل، ثم أجرى اللفظ ثانيا على ذات القرية (المكان) فقال: «التى كنا فيها»، ولذلك أعاد الضمير على القرى باعتبار المعنى المراد من ساكنيها فقال (أهلكناهم) بضمير جمع الذكور العاقلين. يقول الأخفش[١]: «وقال: أهلكناهم، ولم يقل: أهلكناها حمله على (القوم) كما قال: جاءت تميم، وجعل الفعل لبنى تميم.

وقد احتوت آية القصص ٥٩ على نوعى الضمير فقال أولا: «وماكان ربك مهلك القرى حتى يبعث فى أمها رسولا» فأتى بضمير المفردة المؤنثه (ها) لما أراد الأمكنة المحتوية للساكنين، ثم قال: «يتلو عليهم» فأتى بضمير الجمع(هم) لما أراد سكانها، وعاد مرة أخرى ليؤكد الإهلاك للقرى التى تضم سكانها فقال: «وماكنا مهلكى القرى إلا وأهلها ظالمون» فأتى بضمير المفردة المناسب للأبنية، لأن أثر الإهلاك يتضح أكثر فيها وهى غير عاقلة، ومعلوم أن البناء يدمر بمن فيه من سكان.

٣- لفظ (الجبال) فى سورة طه آية ١٠٥ عاد الضمير عليها بالإفراد، فقال: ﴿ويسئلونك عن الجبال فقل ينسفها ربى نسفا﴾، وكذلك فى سورة النمل آية ٨٨ فقال: ﴿وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب﴾ ولكنه فى سورة الأنبياء آية ٧٩ قال: ﴿وسخرنا مع داود الجبال يسبحن﴾ فأتى بضمير الإناث العاقلات (نون النسوة) لأن

---

(١) انظر معانى القرآن ٣٩٧.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أصل التسبيح المشاهد والملموس لنا يكون للعقلاء، فلما أسنده لغير العقلاء نزل (الجبال) منزلة العقلاء ومعلوم أن (الجبال) تسبح أيضا، ولكن بتسبيح خاص لا كتسبيحنا لقوله تعالى: ﴿**وإن من شئ إلا يسبح بحمده ولكن لاتفقهون تسبيحهم**﴾ ومثل هذا ماورد فى سورة (ص) ١٨ فى قوله تعالى: ﴿**إنا سخرنا الجبال معه يسبحن**﴾.

٤- لفظ (القرون) لما أريد لفظها من الأزمنة التى مضت عاد عليها بالإفراد الذى يناسب ضمير غير العقلاء قال تعالى: ﴿**قال فما بال القرون الأولى، قال علمها عند ربى فى كتاب لايضل ربى ولاينسى**﴾ طه ٥١، ٥٢. ولما أريد بها من عاشوا فى هذه الأزمنة، وهم الأقوام السابقون عاد الضمير عليه كما يعود على العقلاء كما فى الآية ١٢٨ من سورة طه فى قوله تعالي: ﴿**أفلم يهد لهم كما أهلكنا قبلهم من القرون يمشون فى مساكنهم**﴾.

وقوله تعالى: ﴿**ولقد أهلكنا القرون الأولى لما ظلموا وجاءتهم رسلهم بالبينات وماكانوا ليؤمنوا**﴾. الآية ١٣ من سورة يونس. فأعاد الضمير بواو الجماعة و(هم) الذى يناسب العقلاء.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

عود الضمير على اسم الجمع واسم الجنس الجمعى

(أ) اسم الجمع :

لفظه مفرد ومعناه متعدد، والفرق بينه وبين الجمع أن:

١- الجمع موضوع للآحاد المجتمعة دالا عليها دلالة تكرار الواحد بالعطف.

٢- واسم الجمع موضوع لمجموع الآحاد دالا عليها دلالة الواحد على جملة أجزاء مسماه، سواء كان له واحد من لفظه مستعمل كركب وراكب، وصحب وصاحب أم لا كقوم ورهط وخيل وإبل، فإن لها مفردات مقدرة من معانيها، وهى: رجل وانسان وفرس وبعير[١].

، وعلى هذا فإن اسم الجمع قد يعود عليه الضمير مفردا باعتبار اللفظ، وقد يعود عليه جمعا باعتبار معناه.

يقول الرضى [٢]: «وأما اسم الجمع فبعضه واجب التأنيث كالإبل والخيل والغنم فحاله كحال جمع التكسير فى الظاهر والضمير وبعضه يجوز تذكيره وتأنيثه كالركب قال:

مع الصحب ركب من إحاطة مجفل

فهو كاسم الجنس نحو: مضى الركب ومضت الركب، والركب مضى ومضت ومضوا».

ويقول الفراء فى قوله تعالى: ﴿ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا﴾: «ولم يقل (آخرون)، ثم قال: (لم يصلوا)، ولم يقل: (فلتصل)، كما قيل (أخرى) لجاز ذلك»[٣].

---

(١) انظر مقدمة جوهر القاموس فى الجموع والمصادر ص٢٥.

(٢) شرح الكافية ٢/ ١٧١.

(٣) معانى القرآن ١/ ٢٨٥.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وباستعراضنا لألفاظ اسم الجمع فى القرآن نجد أن:

١- إبل : عاد الضمير عليها بلفظ المفرد المؤنث باعتبار ذات اللفظ.

٢- أمة : عاد الضمير عليها بلفظ الجمع باعتبار المعنى، وباعتبار اللفظ فى أيتين: الرعد ٣٠، الحجر ٥.

٣- أناس: عاد الضمير عليها باعتبار المعنى.

٤- أهل : عاد الضمير عليها باعتبار المعنى.

٥- آل : عاد الضمير عليها باعتبار المعنى.

٦- بشر : وردت بضمير الواحد إن كان الحديث عن المفرد، وبضمير الجمع إن كان الحديث عن الجمع.

٧- بطانة : عاد المضير عليها بضمير الجمع.

٨- ثمود: عاد الضمير عليها باعتبار المعنى ماعدا آية واحدة ورد بضمير المفرد المؤنث «كذبت ثمود بطغواها»[١].

٩- الجمع: عاد الضمير عليه باعتبار المعنى.

١٠- حزب: عاد الضمير عليه باعتبار المعنى.

١١- خلف: عاد الضمير عليه باعتبار المعنى.

١٢- ذرية: عاد الضمير عليها مفردا مؤنثا باعتباراللفظ فى آية واحدة «ذرية بعضها من بعض، وعاد عليها مجموعا باعتبار المعنى فى الآيات الثلاث الأخرى».

---

(١) ثمود: امس رجل، وهو: ثمود بن جاثر بن ارم بن سام وهو أخو: (جديس)، فثمود وجديس أخوان، ثم سميت به هذه القبيلة، والأكثر منعه اعتبارا بإطلاقه على القبيلة، ومنهم من جعله اسما للحى فصرفه وقيل: سموا ثمودا، لقلة مائهم، والثمد: الماء القليل، قال النابغة:

واحكم كحكم فتاة الحى اذ نظرت إلى حمام شراع وارد الثمد

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

١٣- سبأ : كجبل لفظه مفرد مذكر يصرف على إرادة الحى ويمنع من الصرف على أنه اسم لبلدة مؤنث وعاد الضمير عليه بلفظ الجمع «لقد كان لسبأ فى مسكنهم» وذلك على إرادة (أهل) سبأ[١].

١٤- طائفة: عاد الضمير عليها جمعا باعتبار المعنى.

١٥- طير : عاد الضمير عليها جمعا باعتبار المعنى.

١٦- عاد : رجع الضمير عليها جمعا باعتبار المعنى[٢].

١٧- فئة : عاد الضمير عليها مفردا باعتبار اللفظ على معنى الفرقة والجماعة كما فى ٢٤٩ البقرة و١٣ آل عمران وعاد الضمير عليها مجموعا باعتبار المعنى كما فى آية ٤٣ من الكهف و٨١ من القصص.

١٨- فريق: عاد الضمير عليه بلفظ الجمع باعتبار المعنى إلا فى آية واحدة فيمكن أن يقدر الضمير مفردا محذوفا فى قوله تعالى: ﴿ **ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون**﴾ أى: كذبتموه، وتقتلونه.

١٩- فوج : عاد الضمير عليه مجموعا باعتبار المعنى.

٢٠- قبيل: عاد الضمير عليه مجموعا باعتبار المعنى.

٢١- قرن : مفرد لفظا متعدد معنى عاد الضمير عليه باعتبار المعنى.

٢٢- قوم : عاد الضمير عليه باعتبار المعنى فيما يزيد عن ٣٥٠ آية.

---

(١) سبأ: لقب (ابن يشجب من يعرب) ابن قحطان، واسمه: عبد شمس يجمع قبائل اليمن عامة. انظر تاج العروس.

(٢) (عاد) اسم للحى فيصرف، ومنهم من جعله اسما للقبيلة فيمنع من الصرف. و(عاد)- فى الاصل- اسم للأب الكبير، وهو: عاد بن عوض بن ارم بن سام بن نوح، وسميت به القبيلة أو الحى، وكذلك ما أشبهه من نحو (ثمود) إن جعلته اسما لذكر صرفته، وإن جعلته اسما لمؤنث منعته من الصرف» الدر المصون ٣٥٨/٥.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٢٣- معشر: عاد الضمير عليه باعتبار المعنى.

٢٤- ملأ : عاد الضمير عليه باعتبار المعنى.

٢٥- الناس: عاد الضمير عليه باعتبار المعنى.

مايحتمل الجمعية

١- الملك: أريد به الجنس فى ﴿**والملك على أرجائها ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية**﴾. الحاقة ١٧.

وقيل: رد الضمير مجموعا على تقدير: والخلق الذى يقال له الملك.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بعض ماورد من نصوص فى عود الضمير على اسم الجمع

١- قال الله تعالى: ﴿وكذلك أرسلناك فى أمة قد خلت من قبلها أمم لتتلو عليهم الذى أوحينا إليك وهم يكفرون بالرحمن﴾. الرعد ٣٠.

يقول أبوحيان[١]: «والظاهر أن الضمير فى قوله: (وهم) عائد على (أمة) المرسل إليهم الرسول، إعادة على المعنى، إذ لو أعاد على اللفظ لكان التركيب: وهى تكفر.

والمعنى: أرسلناك اليهم وهم يدينون دين الكفر، فهدى الله بك من أراد هدايته.

وقيل: يعود على الذين قالوا: «لولا أنزل عليه آية من ربه»[٢].

وقيل: يعود على (أمة) وعلى (أمم)، والمعنى: الإخبار بأن الأمم السابقة أرسلت إليهم الرسل، والأمة التى أرسلت إليها جميعهم جاءتهم الرسل، وهم يدينون دين الكفر، فيكون ذلك تسلية للرسول ﷺ، إذ أمته فى ذلك مثل الأمم السابقة» أهـ.

٢- قال الله تعالى: ﴿ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا﴾ النساء ١٠٢.

يقول الفراء[٣]: «ولو قيل: (فلتصل) كما قيل (أخرى) لجاز ذلك.... وقال: «فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة»[٤]، وفى قراءة «أبى» عليه الضلالة.

---

(١) البحر المحيط ٥/ ٣٩٠.

(٢) الآية قبل السابقة.

(٣) معانى القرآن ١/ ٢٨٥.

(٤) الاعراف ٣٠.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فاذا ذكرت اسما مذكرا لجمع جاز جمع فعله وتوحيده كقول الله تعالى: ﴿وانا لجميع حاذرون﴾[١]، وقوله: ﴿أم يقولون نحن جميع منتصر﴾[٢]، وكذلك إذا كان الاسم مؤنثا وهو لجمع فعله كفعل الواحدة الأنثى، مثل الطائفة والعصبة والرفقة، وان شئت جمعته فذكرته على المعنى، كل ذلك أتى فى القرآن».

٣- قال تعالى: ﴿فخذ أربعة من الطير فصرهن إليه ثم إجعل على كل جبل منهن جزءا ثم ادعهن يأتينك سعيا﴾ البقرة ٢٦٠.

يقول أبوحيان[٣]: «والطير: اسم جمع لما لايعقل يجوز تذكيره وتأنيثه... ونص بعضهم على أن اسم الجمع لما لايعقل مؤنث».

ويقول السمين[٤]: «والطير: اسم جمع كركب وسفر، وقيل: بل هو جمع طائر نحو: تاجر وتجر، وهذا مذهب أبى الحسن، وقيل: بل هو مخفف من (طير)- بتشديد الياء- كقولهم: (هين) و(ميت) فى (هين) و(ميت)، وقال أبو البقاء: وهو فى الأصل: مصدر (طار) (يطير) ثم سمى به هذا الجنس، فتحصل به أربعة أقوال..... وبعضهم: أن اسم الجمع لما لايعقل مؤنث، وليس بصواب لما تقدم فى الآية الكريمة.

واسم الجمع لما لايعقل يذكر ويؤنث» أهـ.

٤- قال تعالى: ﴿ولم يكن له فئة ينصرونه من دون الله﴾ الكهف ٤٣.

١- يقول الزمخشرى[٥]: «وحمل (ينصرونه) على المعنى دون اللفظ كقوله: «وفئة تقاتل فى سبيل الله وأخرى كافرة يرونهم مثليهم رأى العين»[٦].

---

(١) الشعراء ٥٦.
(٢) القمر ٤٤.
(٣) البحر المحيط ٢/٢٩٩.
(٤) الدر المصون ٢/٥٧٥.
(٥) الكشاف ٢/٤٨٥.
(٦) آل عمران ١٣.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٢- كما ذكر ذلك «أبو حيان» في «البحر المحيط» كما ذكره «الزمخشري»[١].

٥- يقول تعالى: ﴿إذا فريق منهم بربهم يشركون ليكفروا بما آتيناهم﴾ الروم ٢٣، ٢٤.

يقول السمين[٢]: «والفريق: اسم جمع لا واحد له من لفظة كرهط وقوم»

ويقول الجمل[٣]: «وقوله: (يشركون) فيه مراعاة معنى لفظ (الفريق)، وكذلك في قوله: ليكفروا».

٦- قال تعالى: ﴿وكم أهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم في الأرض﴾ الأنعام ٦.

يقول العكبري[٤]: «ومكناهم في موضع جر صفة «لقرن»، وجمع على المعنى». ويقول أبوحيان[٥]: «وماقاله أبو البقاء ممكن».

ويقول السمين[٦]: «وعاد الضمير إليه جمعا باعتبار معناه».

٧- قال تعالى: ﴿وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أحسن أثاثا ورئيا﴾. مريم ٧٤.

يقول أبوحيان[٧]: «هم أحسن في موضع الصفة لقرن، وجمع، لأن القرن هو مشتمل على أفراد كثيرة، فروعي معناه ولو أفرد على اللفظ لكان عربيا، فصار كلفظ (جميع)».

---

(١) البحر المحيط ٦/ ١٣٠.

(٢) الدر المصون ١/ ٤٤٠.

(٣) الفتوحات الالهية ٣/ ٣٩٣.

(٤) املاء مامن به الرحمن ١/ ٢٣٥.

(٥) البحر المحيط ٤/ ٧٦.

(٦) الدر المصون ٤/ ٥٣٦.

(٧) البحر المحيط ٦/ ٢١٠.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ويقول الجمل [١]: «والقرن: مفرد لفظا متعدد معنى، وقوله: (هم أحسن) جملة من مبتدأ وخبر فى محل جر صفة لـ (قرن) المجرد بـ (من)» أهـ.

٨- قال تعالى: ﴿والملك على أرجائها، ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية﴾. الحاقة ١٧.

يقول الزمخشرى [٢]: «يريد: والخلق الذى يقال له: (الملك)، ورد الضمير اليه مجموعا فى قوله: (فوقهم) على المعنى» أهـ.

ويقول أبوحيان [٣]: «والضمير فى (فوقهم) عائد على (الملك) ضمير جمع على المعنى، لأنه يراد به الجنس» أهـ.

عود الضمير على اسم الجنس

اسم الجنس ينقسم الى قسمين:

إفرادى، وجمعى.

فالإفرادى: ماكان قليله وكثيره سواء، ولم يكن له مفرد من لفظه ولامعناه.

والجمعى: ماكان له مفرد يشاركه فى لفظه ومعناه، ويفرق بينه وبين مفرده بالتاء، أو بالياء.

فاسم الجنس الجمعى لفظه مفرد ومعناه الجمع.

وقد يعود الضمير عليه مفردا مذكرا أو مؤنثا باعتبار لفظه، وقد يعود عليه الضمير مجموعا مراعاة لمعناه.

---

(١) الفتوحات الالهية ٣/٧٥.

(٢) الكشاف ٤/١٥١.

(٣) البحر المحيط ٨/٣٢٤.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ألفاظ اسم الجنس الجمعى الواردة
فى القرآن الكريم

١- الجن: عاد الضمير عليه بلفظ الجمع المذكر، قال تعالى:
﴿فلما خر تبينت الجن أن لوكانوا يعلمون الغيب...﴾.
سبأ ١٤.

٢- البقر : عاد الضمير عليه مفردا مذكرا مستترا.

٣- الثمر : عاد الضمير عليه مفردا مذكرا.

٤- الحب : عاد الضمير عليه مفردا مذكرا.

٥- الذباب : عاد الضمير عليه مفردا مذكرا.

٦- الروم : عاد الضمير عليه بلفظ الجمع المذكر.

٧- السحاب: عاد الضمير عليه مفرد مذكرا.

٨- الشجر : عاد الضمير عليه مفردا مذكرا فى سورة يس (٨٠).
ومفردا مؤنثا ثم مذكرا فى سورة الواقعة (٥٢).

٩- الكلم : عاد الضمير عليه مفردا.

١٠- النحل: عاد الضمير عليه مفردا مؤنثا (ياء المخاطبة).

١١- النخيل: عاد الضمير عليه مفردا مؤنثا (ها).

١٢- النخيل: عاد الضمير عليه مفردا مذكرا.

ونذكر فيما يلى بعض ماذكر فى كتب التفسير أثناء تفسير بعض آيات اسم الجنس: قال تعالى:

١- ﴿إن البقر تشابه علينا﴾ البقرة ٧.

يقول الأخفش[١]: «جعل البقر مذكرا مثل التمر والبسر كما تقول: إن زيدا تكلم يافتى.....».

---

(١) انظر معانى الأخفش ١/١٠٤.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ومن أنت البقر فقال: «تشابه» فأدغم، وان شاء حذف التاء الآخرة ورفع كما تقول: ان هذا تكلم يافتى، لأنها تشابه أحدهما تاء «تفعل»، وفى التذكير معناه «فعل»، «وفعل» أبدا مفتوح كما ذكرت لك، والتاء محذوفة، إذا أردت التأنيث، لأنك تريد: تشابهت، فهى تتشابه، وكذلك كل من نحو البقر، ليس بين الواحد والجماعة إلا الهاء، فمن العرب من يذكره، ومنهم من يؤنثه، ومنهم من يقول: هى البر والشعير، وقال: «والنخل باسقات لها طلع نضيد»، فأنت على تلك اللغة، وقال: «باسقات»، فجمع، لأن المعنى جماعة. قال الله جل ثناؤه: «ألم تر أن الله يزجى سحابا ثم يؤلف بينه» فذكر فى لغة من يذكر، وقال: «وينشئ السحاب الثقال» فجمع على المعنى، لأن المعنى معنى «سحابات»، وقال: «ومنهم من ينظر اليه» وقال: «ومنهم من يستمعون اليك» على المعنى واللفظ» أهـ.

٢- ﴿وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم وخرقوا له.....﴾ .

الأنعام ١٠٠

قال أبو حيان[١]: «والضمير فى (وخلقهم) عائد على الجاعلين.....

وقيل: الضمير يعود على (الجن)، أى: والله خلق من اتخذوه شريكا له» أهـ.

٣- ﴿حتى إذا أقلت سحابا ثقالا سقناه لبلد ميت﴾. الأعراف ٥٧.

١- يقول النحاس[٢]: «يذكر ويؤنث، وكذا كل جمع بينه وبين واحدته هاء، ويجوز نعته بواحد، تقول: سحاب ثقيل وثقيلة».

---

(١) انظر البحر المحيط ٤/١٩٤.

(٢) اعراب القرآن ١/ ٦٢٠.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٢- ويقول الزمخشرى[١]: (سقناه) الضمير للسحاب على اللفظ، ولو حمل على المعنى كالثقال لأنث، كما لو حمل الوصف على اللفظ لقيل: ثقيلا أ هـ.

٣- ويقول العكبرى[٢] : سحاب جمع سحابة ، وكذلك وصفها بالجمع» أهـ.

٤- ﴿ألم تر أن الله يزجى سحابا ثم يؤلف بينه﴾ النور ٤٣.

يقول الفراء[٣]: يقول القائل: (بين) لاتصلح إلا مضافة إلى اثنين فما زاد، فكيف قال: (ثم يؤلف بينه) ، وإنما هو واحد فى اللفظ ومعناه جمع، ألا ترى قوله: «وينشئ السحاب الثقال» ألا ترى أن واحدته (سحابة) ، فاذا ألقيت الهاء كان بمنزلة نحلة ونحل وشجرة وشجر، وأنت قائل: فلان بين الشجر وبين النخل، فصلحت (بين) مع النخل وحده، لأنه جمع فى المعنى، والذى لايصلح من ذلك قولك: المال بين زيد، فهذا خطأ حتى تقول: بين زيد وعمرو » أهـ.

٥- ﴿وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذى من الجبال بيوتا﴾.

النحل ٦٨.

١- يقول الأخفش[٤]: «على التأنيث فى لغة أهل الحجاز، وغيرهم يقول: هو النحل، وكذلك كل جمع ليس بينه وبين واحده إلا الهاء نحو: البر والشعير هوفى لغتهم مؤنث» أهـ.

٢- ويقول السمين[٥]: «والنحل يذكر ويؤنث على قاعدة أسماء الأجناس، والتأنيث فيه لغة أهل الحجاز، وعليه جاء» أن اتخذى » أهـ.

---

(١) الكشاف ٢/٨٤.

(٢) الاملا ١٠/٢٧٧.

(٣) معانى القرآن ٢/٢٥٦.

(٤) معانى الأخفش ٣٨٤.

(٥) الدر المصون ٧/٢٦٢.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٦- ﴿كأنهم أعجاز نخل منقعر﴾. القمر ٢٠.

يقول أبوحيان[١]: «والنخل: اسم جنس يذكر ويؤنث، وإنما ذكر هنا لمناسبة الفواصل، وأنث في قوله: أعجاز نخل خاوية في الحاقة لمناسبة الفواصل».

٧- ﴿ومن ثمرات النخيل تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا﴾.

النحل٦٧.

١- يقول أبوحيان[٢]: «النخيل: اسم جمع، أو جمع تكسير كنحل اسم الجنس كما قالوا: كلب وكليب» أهـ.

٢- ويقول العكبري[٣]: «ونخيل: جمع وهو نادر وقيل: هو جنس» أهـ

٣- ويقول السمين[٤]: «والهاء في (منه) فيه ستة أوجه:

أحدها : أنها تعود على المضاف المحذوف الذي هو العصير كما رجع قوله (أوهم قائلون) إلى الأهل المحذوف.

الثاني : أنها تعود على معنى الثمرات، لأنها بمعنى الثمر.

الثالث : أنها تعود على النخيل.

الرابع : أنها تعود على الجنس.

الخامس : أنها تعود على البعض.

السادس : أنها تعود على المذكور.

---

(١) البحر المحيط ٨/١٧٩.

(٢) البحر المحيط ٢/٣٠٣.

(٣) الاملاء ١٠/١١٣.

(٤) الدر المصون ٧/٢٥٩.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الخلاصة وفيها نتائج البحث

١- جمع التكسير للعقلاء لافرق بين قليله وكثيره.

أ) فيأتى للذكور بضمير الجمع (الواو) أو (هم) للذكور و(هن) للإناث أو نون النسوه.

ب) وقد يأتى بضمير المفردة المؤنثة كما عاد على (الأنفس) والمراد بها الآدميون الأحياء، يقول الله تعالى: ﴿**الله يتوفى الأنفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها فيمسك التى قضى عليها الموت ويرسل الأخرى**﴾. آية ٤٢ من الزمر.

٢- جمع التكسير لغير العقلاء.

قرر النحاة أنه لافرق بين قليله وكثيره فى عود الضمير.

أ) فيجوز أن يكون ضمير جمع.

ب) ويجوز أن يكون ضمير إفراد.

ولكن طبقا لقاعدة الأفصح عندهم فقد ذهبوا إلى أن:

١- الأفصح فى جمع القلة أن يأتى ضميره للجمع.

٢- والأفصح فى جمع الكثرة أن يأتى ضميره مفردا مؤنثا.

هذه هى سمة الضمير عند النحويين، ولكن القرآن يثبت عكس ذلك.

١- فعند تتبعى لوزن (أفعال) جمعا وجدت أن إحدى وثلاثين آية قد عاد الضمير مفردا مؤنثا.

وهذا مخالف تماما لقاعدة الأفصح عند النحاة انظر ص١١من البحث.

والذى يجب أن نعتمده ماذكر فى القرآن، فإنه نزل من عند رب العالمين بلسان عربى مبين.

٢- ورد- أيضا- ضمير جمع القلة مخالفا لما قرره النحاة فى النوعية (التذكير والتأنيث)، فقد عاد الضمير بنون النسوة، ومرجعه مذكر غير

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

عاقل (الأصنام) فى قوله تعالى: ﴿رب إنهن أضللن كثيرا من الناس﴾. وفسر هذا بتنزيل غير العقلاء منزلة العقلاء انظر ص١٤من البحث.

٣- عاد الضمير على (الأسماء) مفردا مؤنثا، أولا ثم عاد بضمير جمع الذكور فى قوله تعالى: ﴿وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة﴾ الآية ٣١ من البقرة.

أ) فقيل: إن الأسماء على حقيقتها، ومعلوم أن، الأفصح عند النحاة ضمير جمع الإناث.

ب) وقيل: إن ضمير الجمع (عرضهم) عاد على الأسماء، والمراد بها: مسميات الأسماء، وهى للعقلاء وغيرهم، وغلب العقلاء.

جـ) وقيل: إنه يعود على لفظ (الأسماء)، وعلى هذا فيكون قد جعل ضمير غير العقلاء للعقلاء (انظر ص١٥من البحث).

٤- عاد ضمير الجمع(هم) وهو للعقلاء على غير العقلاء فى قوله تعالى: ﴿وتالله لأكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين فجعلهم جذاذا إلا كبيرا لهم لعلهم إليه يرجعون﴾.

وذلك لاعتبار بلاغى، وهو معاملة الأصنام معاملة العقلاء حيث اعتقدوا فيها ذلك. انظر ص١٦من البحث.

وكذلك فى قوله تعالى: ﴿أم اتخذوا آلهة من الأرض هم ينتشرون﴾. الأنبياء ٢١.

وفى قوله تعالى: ﴿قالوا من فعل هذا بآلهتنا إنه لمن الظالمين قالوا سمعنا فتى يذكرهم﴾. الأنبياء ٥٩، ٦٠.

وفى قوله تعالى: ﴿واتخذوا من دون الله آلهة لعلهم ينصرون لايستطيعون نصرهم وهم لهم جند محضرون﴾. (يس ٧٤، ٧٥).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فقد نزل غير العقلاء، وهم الآلهة منزلة العقلاء، فعاد الضمير (هم) كضمير العقلاء، لاعتقادهم الضرر والنفع، وهذا مماثل لقوله تعالى: ﴿فجعلهم جذاذا إلا كبيرا لهم﴾ الأنبياء ٥٨. فهذا ورد لمسلك بلاغى انظر ص١٦من البحث.

٥- عاد الضمير مفردا مذكرا فى قوله تعالى: ﴿وإن لكم فى الأنعام لعبرة نسقيكم مما فى بطونه﴾. النحل ٦٦.

والأفصح عند النحويين أن يعود الضمير على جمع القلة لغير العقلاء مجموعا، فخالف الضمير مرجعه فى الإفراد والتذكير (والأنعام) على أرجح الأقوال مؤنث، وقيل فى تفسيره عدة أقوال:

أ) ذهاباً به إلى معنى: فى بطون ماذكرنا.

ب) أو رجوعا بالتذكير إلى معنى (النعم) من باب وضع (الأنعام) مكان النعم وكلاهما للجمع.

ج) أو ذهابا به إلى معنى (البعض).

د) وقيل: إن (الأنعام) تذكر وتؤنث، ولذا جاء مؤنثا فى سورة المؤمنين[1] ومذكرا هنا انظر ص١٦من البحث.

٦- عاد الضمير مفرداً مؤنثا على (الأهلة) فى قوله تعالى: ﴿ويسئلونك عن الأهلة قل هى مواقيت للناس والحج﴾. وفى قوله تعالى: ﴿أم لهم آلهة تمنعهم من دوننا﴾. فعاد الضمير مؤنثا مستترا.

والأفصح عند النحاة أن يعود ضمير جمع لعوده على جمع القلة انظر ص١٨من البحث.

٧- عاد الضمير على عدة أشياء أغلبها للتذكير ضمير جمع إناث فى قوله تعالى: ﴿ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر

---

(١) آية ٢١ من المؤمنين: «وإن لكم فى الأنعام لعبرة نسقيكم مما فى بطونها ولكم فيها منافع كثيرة ومنها تأكلون».

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

﴿لاتسجدوا للشمس ولاللقمر واسجدوا لله الذى خلقهن﴾،

وفى عوده آراء منها:

أ) لأن هذه الأشياء فى معنى الآيات.

ب) وقيل راجع إلى لفظ (الآيات).

ج) وقيل يعود على الشمس والقمر، والاثنان جمع، وجمع مالا بعقل مؤنث.

د) وقيل: كل ذكر من غير الناس وشبههم فهو فى جمعه مؤنث.

انظرص١٩، ٢٠ من البحث.

دلالة جمع التصحيح:

اختلف فى دلالة جمع التصحيح، فقيل: للقلة، وقيل: للكثرة، وقيل: لمطلق الجمع من غير نظر إلى القلة والكثرة وقيل: يقع للقلة وللكثرة وهو الأرجح. انظر ص٢١من البحث.

الضمير العائد على جمع التصحيح:

١- جمع التصحيح للعاقل:

١- إن كان لمذكر يأتى ضميره بلفظ الجمع (هم) أو (واو الجماعة).

٢- وإن كان لمؤنث يأتى ضميره بلفظ الجمع (هن) أو (نون النسوة).

٢- جمع التصحيح لغير العاقل:

أ) إن كان للكثرة فالأفصح عند النحاة أن يأتى ضميره مفردا مؤنثا.

ب) وإن كان للقلة أتيت به: جمعا كقاعدة جمع التكسير ص٢٣من البحث.

هذه هى سمات القواعد النحوية، ولكنها هذه السمات قد تختلف . ومن ظاهرة مخالفة النصوص القرآنية لما ذهب إليه النحويون فيما جمع بالألف والتاء.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

١) عود الضمير بواو جماعة الذكور فى قوله تعالى: ﴿**له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من امر الله**﴾.

أ- وأرجعه المفسرون والنحاة إلى أن المراد من (المعقبات) (الملائكة)، والملائكة ذكور، والتاء للمبالغة فى (معقبة) وعاد الضمير على الجمع باعتبار المعنى.

ب- وقيل: حذف الموصوف المذكر وأقيمت الصفة مقامه وعاد الضمير باعتبار الموصوف لا الصفة، والأصل: الملائكة المعقبات. انظر ص٣١ من البحث.

٢) عود ضمير جمع الإناث على جمع التصحيح لغير العاقل.

وجمع المؤنث غير العاقل عاد الضمير عليه مفردا فى آيات كثيرة، لأن تلك الألفاظ العائد عليها تشتمل على إعداد كثيرة باعتبار جنسها أو تعدد مواقعها أو أزماتها أو أشخاصها ولكن نلحظ مايأتى:

أ- لفظ (آيات) وردت بضمير جمع المؤنث فى قوله تعالى: ﴿**منه آيات محكمات هن أم الكتاب**﴾ آل عمران ٧.

وأورد المفسرون لها تفسيرات متعددة لا داعى لذكرها مرة أخرى انظرص٢٨من البحث.

وكذلك(الحسنات) فى قوله تعالي: ﴿**إن الحسنات يذهبن السيئات**﴾.

وكذلك (كلمات) فى قوله تعالى: ﴿**وإذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فأتمهن**﴾.

أما لفظ (السموات) فقد ورد بضمير الجمع فقط سواء قرن بالأرض أو بدونها، وهى دون العشرة، أو مع الجبال وهى فوق العشرة، وقيل: انها مع الأرض فوق العشرة لماجاء فى سورة الطلاق ﴿**الله الذى خلق سبع سموات طباقا ومن الأرض مثلهن**﴾ ولكنى أعود فأقول: إن الرأى

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

القائل بدلالة جمع التصحيح على القلة والكثرة وفق السياق الذى جاء به هو الأنسب للتطبيق، وعلى هذا فلا تعارض بين مجئ الضمير مفردا أو جمعا انظر ص٣٠ من البحث.

٣- عود ضمير المفرد المذكر على جمع المؤنث، فقد فسر ذلك :

أ) بوروده حسب المعنى كما فهم من آية النساء: ﴿ **وآتوا النساء صدقاتهن نحله فان طبن لكم عن شئ من نفس فكلوه هنيئا مريئا**﴾، فقد يراد من الصداق الواحد الذى هو بعض (الصدقات) أو المال المستفاد من (صدقاتهن). وكذلك فى سورة الأنعام: وكذلك نصرف الآيات وليقولوا درست ولنبينه، فالآيات فى معنى (القرآن) أو إلى القرآن الذى يفهم من إطلاق آيات رب العالمين.

وكذلك فى سورة الكهف: ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه فأعرض عنها ونسى ماقدمت يداه إنا جعلنا فى قلوبهم أكنة أن يفقهوه، فإضافة الآيات إلى الرب، يعنى: القرآن وقد يراد من المعنى المستفاد من (آتوا) وهو المصدر (الايتاء) والمصدر المستفاد من قوله: (وإن تخفوها) فى آية البقرة ﴿**إن تبدوا الصدقات فنعما هى وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم**﴾، أى فالإخفاء خير لكم، وهناك تفسيرات أخرى (راجع ص٢٣-٢٧ ومابعدها).

ب) وفى عود الضمير مفردا مؤنثا على (الصدقات)، فقد عاد الضمير بحسب المعنى المفهوم من قوله (إن تبدوا)، أى: ابداؤها ثم حذف المضاف وأقيم المضاف إليه معلقه.

أما فى (وإن تخفوها وتؤتوها) فمرجع الضمير إلى (الصدقات) لفظا ومعنى انظر ص٢٦-٢٧ من البحث.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

عود الضمير مثنى على الجمع:

فقد يعود الضمير على الجمع باعتبار المعنى، وذلك بتقسيم الجمع إلى فئتين أو قسمين، فيصير كل قسم وحدة واحدة فيثنى على هذا التأويل كما فى الآية ٣٠ من سوره الأنبياء والآية ٢٤ من سورة هود انظر ص٣٣ من البحث.

وقد يعود ضمير المثنى إلى الجمع لأهمية اثنين منهما، وهذا ورد فى الحديث فى قوله «فكلموهم أن يحملوهما، فعرف الخضر فحملوهما»

(انظر ص٣٨) من البحث.

عود الضمير على جمع التكسير للكثرة:

خالف الضمير العائد، لاعتبارات منها:

١- عوده كضمير جمع العاقلات، فى آية ٢٢ من يونس، لأن جمع التكسير قد يفسر بالجماعة أو لما ذكره الفراء من أن كل ذكر من غير الناس وشبههم فهو فى جمعه مؤنث.

٢- وقد ينزل غير العقلاء منزلة العقلاء كما فى آية ٢١ من سورة فصلت، وفى آية ٤ من المائدة.

٣- وقد يعود الضمير كضمير العقلاء مرة، وذلك باعتبار الأشخاص المتواجدين فى هذه الأماكن، وقد يعود كضمير غير العقلاء لما يراد بها لفظها، ومن ذلك: الأمم والقرى والقرون، وفى لفظ (الجبال). لما أسند إليها فعل العقلاء، وهو (التسبيح) كما فى آيه ٧٩ من الأنبياء وآية ١٨من (ص) جاء بالضمير المناسب لفعل العقلاء. (انظر ص٣٩ ومابعدها)من البحث.

عود الضمير على اسم الجمع واسم الجنس الجمعى:

١- اسم الجمع قد يعود عليه الضمير مفردا باعتبار اللفظ وقد يعود الضمير عليه جمعا باعتبار المعنى (انظرص٤٤-٤٧ ومابعدها من البحث).

٢- اسم الجنس الجمعى قد يعود الضمير عليه مفردا باعتبار لفظه، وقد يعود عليه مجموعا مراعاة لمعناه . انظر ص٥١، ومابعدها.

تم البحث بعون الله وتوفيقه

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ثبت بأهم المصادر والمراجع

١- إعراب الحديث النبوى للعكبرى.
٢- الأصول فى النحو لابن السراج. تحقيق د/ عبدالحسين الفتلى مؤسسة الرسالة- بيروت- الطبعة الأولى.
٣- الأمالى النحوية لابن الحاجب تحقيق هادى حسن حمودى- عالم الكتب- مكتبة النهضة العربية.
٤- إملاء مامن به الرحمن من وجوه الاعراب والقراءات فى جميع القرآن للعكبرى- دار الكتب العلمية- بيروت.
٥- الأنموذج الجليل فى أسئلة وأجوبة من غرائب آى التنزيل للرازى جـ١ ملحق مجلة الأزهر ربيع الأول ١٤١٢هـ.
٦- البحر المحيط لأبى حيان- القاهرة ١٣٢٨هـ.
٧- البرهان فى علوم القرآن للامام الزركشى- دار المعرفة للطباعة والنشر- بيروت.
٨- بلاغة القرآن للشيخ محمد الخضر حسين. المطبعة التعاونية بدمشق نشر على الرضا التونسى ١٣٩١هـ- ١٩٧١م.
٩- البيان فى غريب إعراب القرآن تأليف أبو البركات بن الانبارى تحقيق د/ طه عبدالحميد طه.
١٠- تاج العروس للزبيدى- الطبعة الأولى- المطبعة الخيرية بالجمالية- مصر ١٣٠٦هـ.
١١- الجامع الصحيح لاحكام القرآن لأبى عبدالله محمد بن أحمد الأنصارى (تفسير القرطبى) كتاب الشعب.
١٢- جوهر القاموس فى الجموع والمصادر. تأليف محمد بن شفيع القزوينى- منشورات جمعية منتدى النشر- النجف الأشرف.
١٣- خزانة الأدب للبغدادى- تحقيق عبدالسلام هارون مكتبة الخانجى بالقاهرة.
١٤- الدر المصون فى علوم الكتاب المكنون للسمين الحلبى- تحقيق د/أحمد محمد الخراط- دار القلم دمشق- الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

١٥- روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى للألوسى دار الطباعة المنبرية- دار إحياء التراث العربى بيروت.
١٦- شرح كافية ابن الحاجب لرضى الدين- دار الكتب العلمية- بيروت.
١٧- شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح لابن مالك تحقيق محمد فؤاد عبدالباقى- عالم الكتب.
١٨- الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية) للجوهرى- تحقيق أحمد عبدالغفور عطار.
١٩- فتح البارى بشرح صحيح البخارى.
٢٠- الفتوحات الالهية بتوضيح تفسير الجلالين للدائق الخفية لسليمان الجمل دار إحياء التراث العربى.
٢١- الكتاب (كتاب سيبويه) تحقيق وشرح عبدالسلام هارون - الهيئة المصرية العامة للكتاب.
٢٢- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل للزمخشرى.
٢٣- المحتسب فى تبيين وجوه شواذ القراءات والافصاح عنها تحقيق على النجدى ناصف وآخرين- الطبعة الثانية- دار سركين للطباعة والنشر ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م.
٢٤- المذكر والمؤنث لأبى بكر محمد بن القاسم الأنبارى- تحقيق د/طارق عبد عون الجنانى - دار إحياء التراث الاسلامى- وزارة الأوقاف بغداد- الكتاب الثالث والثلاثون.
٢٥- معانى القرآن للأخفش- تحقيق د/فائز فارس.
٢٦- معانى القرآن للزجاج- شرح وتحقيق د/عبدالجليل شلبى عالم الكتب.
٢٧- معانى القرآن للفراء- تحقيق محمد على النجار ويوسف نجاتى- عالم الكتب- بيروت.

و آخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين،،،

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner